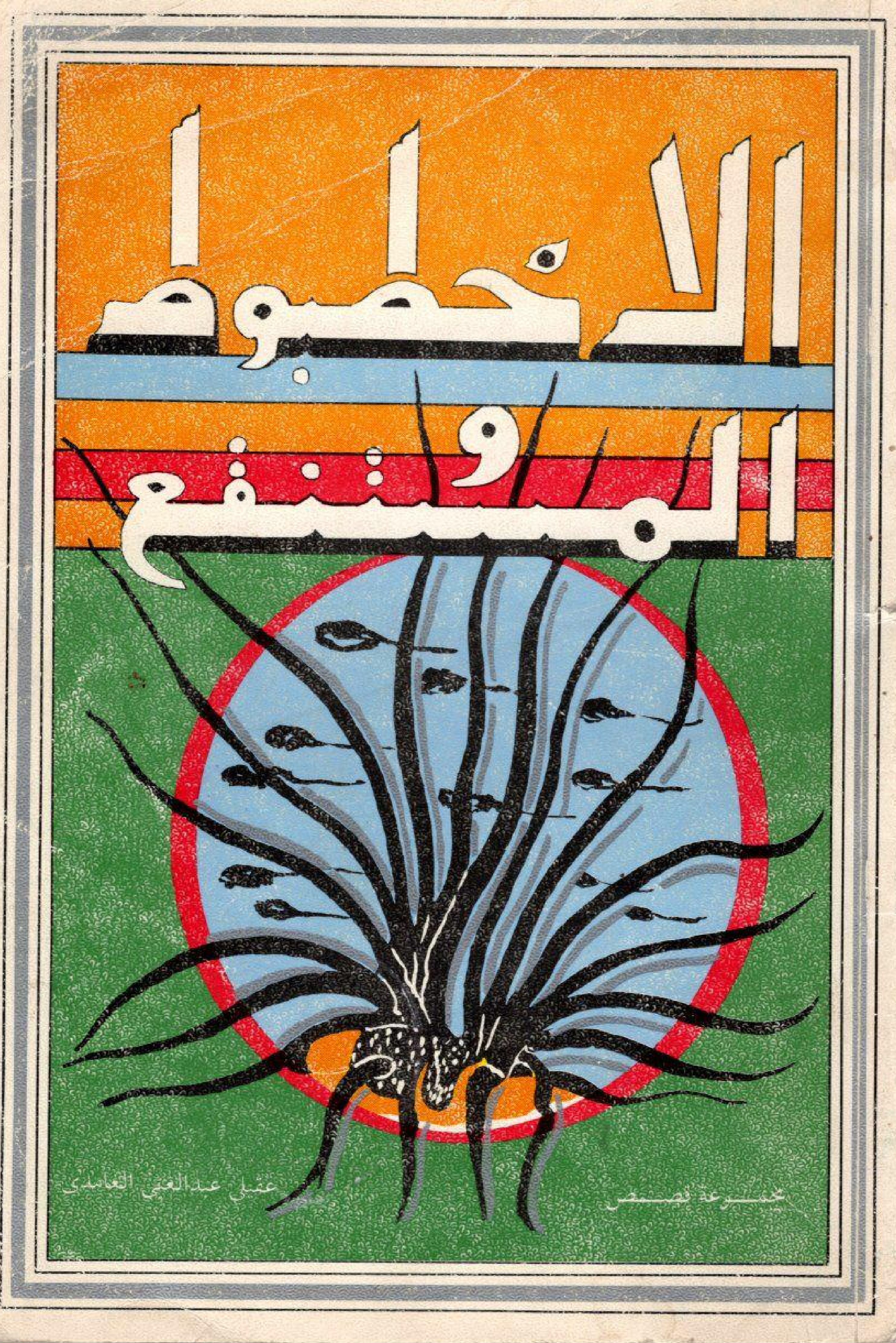
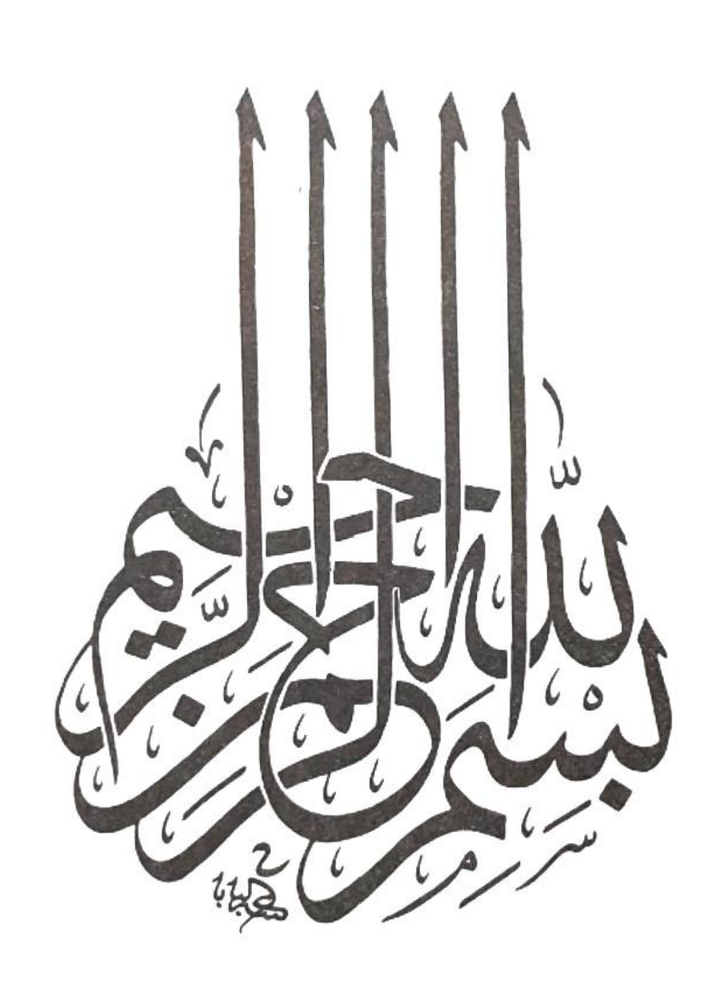

الاخطبوط
و
المستنقع
عقيل عبد الغني الغامدي
مجموعة قصص


بسم الله الرحمن الرحيم

الأخطبوط والمستنقع

قصص قصيرة

عقيلي عبدالغني الغامدي

مطبوعات نادي الطائف الأدبي
الطبعة الأولي عام ١٤٠٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

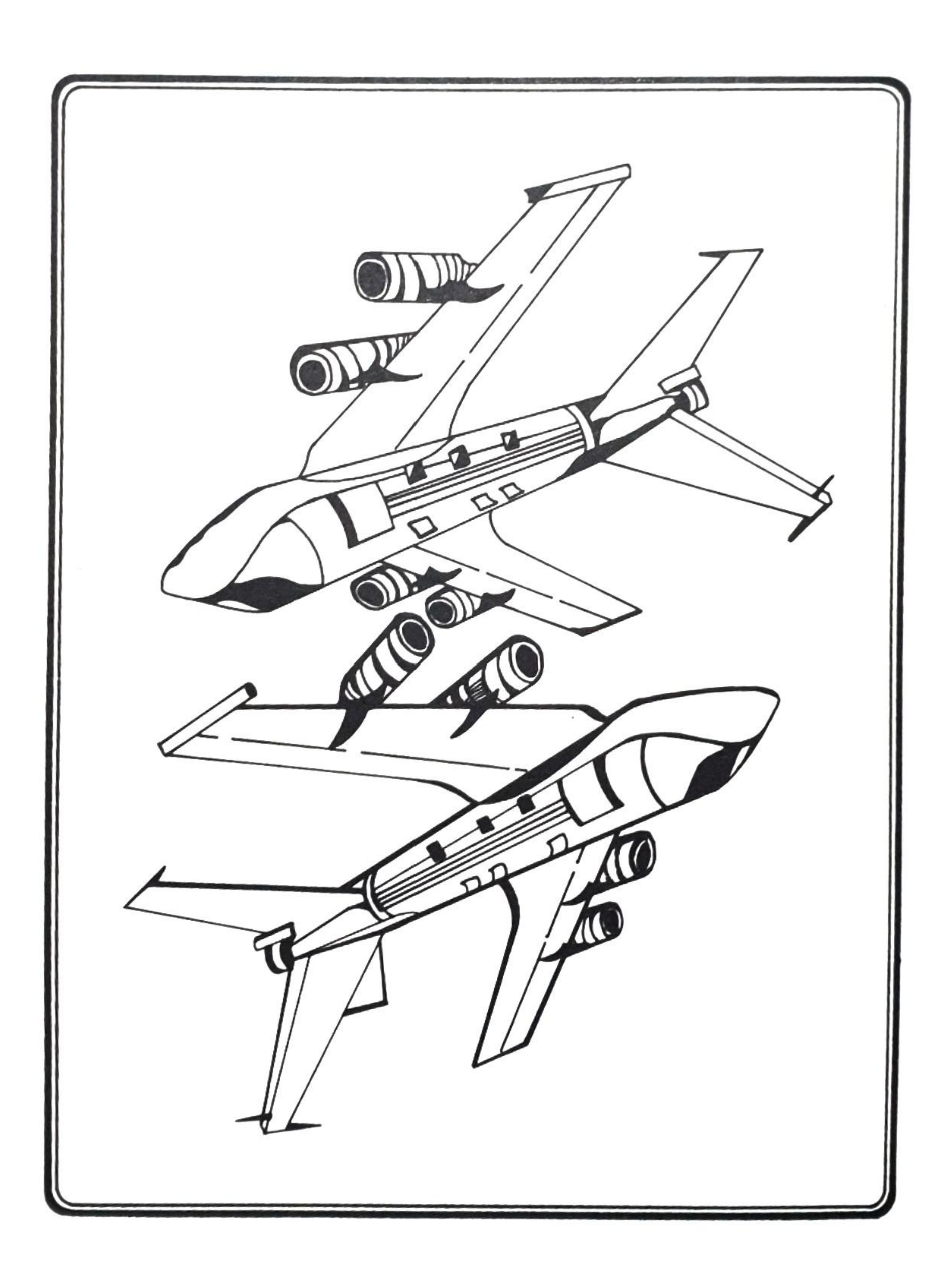
الاهـــــــداء

الى الذي رحل . .
الى روح أخي عبدالله . . رحمه الله



المحتـــــويات







ذكريات المنزل الشعبي

.. **ليتني** اتصلت به ليعلم بقدومي .. لا ، سأحمله مشقة الاستقبال والانتظار .. ما أسعد تلك الأيام خمس سنوات مضت من عمر الزمن . لم نلتق الآ على صفحتي رسالتين بعثها كل منا الى الآخر .. ما أشد شوقي الى زميل الدراسة ورفيق الصبا .. سنوات عشناها تحت سقف واحد في ذلك المنزل الشعبي .. حقاً ما أجمل تلك الأيام العصيبة ، عندما كنا لا نملك أجر الحافلة لتقلنا الى المعهد .. بضعة قروش كنا نغالط السائق .. !! حتى بائع الشطائر في المقصف لا يسلم من تصرفاتنا المخجلة .

قبيل نهاية كل شهر نصبح صفر اليدين ، ننتظر المكافأة الدراسية بفارغ الصبر .. كانت على قلتها تكفينا لو لم نبددها مع بداية الشهر بلا حساب .. ما أشد فرحتنا عند زيارة الأقارب والأصدقاء من خارج المدينة .. نحتفي بهم ، نؤثرهم بفرش النوم على بساطتها .. «بطانية» واحدة نشترك في الالتحاف بها .. يمضي الليل ونحن نتجاذبها في جذل وضحك . نبذل جهداً في كبته لئلا نزعج النائمين ، ومع ذلك يزداد الضحك شدة اذا سمعنا أحد الزائرين «يشخر» في نومه ، فيكون محور عباراتنا اللاذعة و«تقليعاتنا» الطريفة .

انها ذكريات ساذجة . . لكنها جميلة . . سنستعيد شريط تلك الأيـام بكـل ما فيهـا من تعـاون ووفاء . . وعلى الرغم مما فيها من متـاعب ومـواقف ظريفـة . . الا يزال «سعيـد» يتـذكـر ذلـك ؟؟ سيسقـط من شدة الضحـك عنـدمـا نتصـور ذلـك الرجل ، بائع الأقمشـة وهـو يمـر بجوار المنزل ، ينادي «فرقنا . . قماشات فرقنا» فيبـادر كل منـا بالتصفيق . . فيظـل غاديـاً رائحـاً يتتبـع مصـدر التصفيق . . لعـل امـرأة تريـد الشراء . . وأخيراً ينتقل يائساً الى مكان آخر بعد تردد وطول انتظار .

لم ينتـزع «محسن» من الغـوص في اعـماق الذكريات . وهو فوق السحاب الا الضوء الأحمر معلناً ربط الحزام استعداداً لهبوط الطائرة .

من أقرب فندق انبرى يدير قرص الهاتف بلهفة وشوق :

- رد عليه سعيد : نعم
- السلام عليكم
- مرحبا . . من يتكلم
- من تتوقع . . ألا تعرف صوتي ؟!
- من أنت يا أخ ؟!! . . لا وقت عندي للمزاح !
- قهقه محسن ، وقال : طبعاً . . طبعاً رجال المال والأعمال لا وقت عندهم للثرثرة على أي حال محسن يكلمك .
- محسن . . من محسن . . أيوه . . يا هلا . . كيف الحال . . أي خدمة . . من أين تتحدث ؟

لم يود محسن أول الأمـر أن يخبره أنـه أقـام في الفنـدق . فأجاب

بعد تردد : «في الفندق ، ولكن أين أنت الآن» ؟
- أنا في المكتب . . في المؤسسة .
- صف لي المكان . . دقائق وأكون عندك .

استقبل سعيد محسناً ، وهو غارق بين أكداس النماذج والمخططات ، وبين أحاديث العملاء ومناقشاتهم التي لا تنتهي . .

أخذ يتلهى بتصفح بعض المجلات القديمة . . يجيل نظره بين الحين والآخر الى سعيد ، وهو يخاطب «الزبائن» . . يبحث عن تلك اللمسات الصافية والكلمات المرحة ؟!

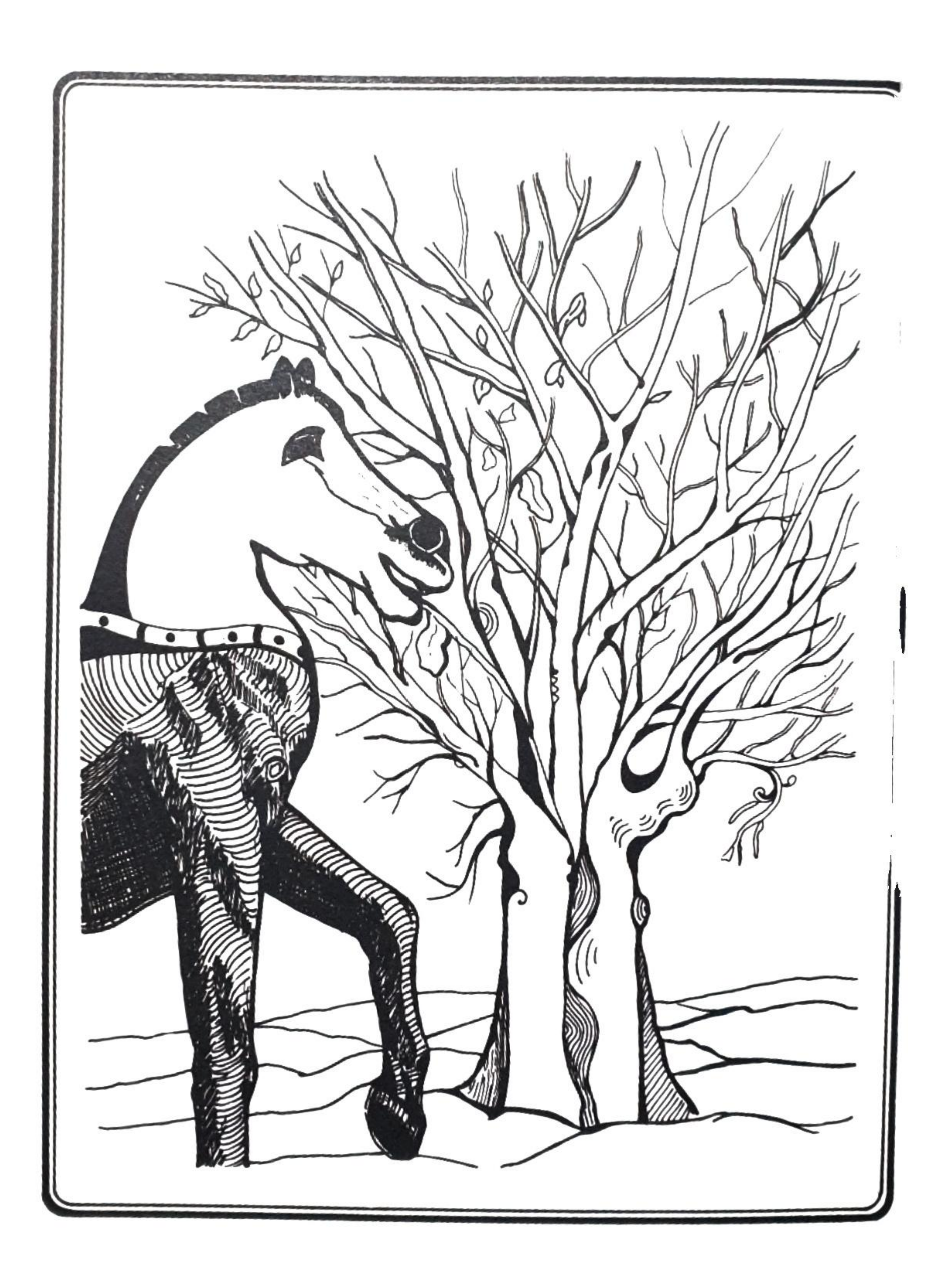
متى ينفض الجالسون ، نتحدث . . نصل الماضي بالحاضر . . نذهب الى منتزهات المدينة ومعالمها ، لم يبق سوى رجل واحد . . سمع سعيداً يحدثه : سأريك الموقع بعد قليل . . نمر بالبائع . . نعود الى هنا لكتابة العقد .

ارتسمت بوضوح في ذهن محسن تلك الأحاسيس التي طردها من مخيلته منذ حدث سعيداً على الهاتف . . شعر أن بقاءه أعاق سعيداً عن مرافقة الرجل . . تحفز مستأذناً في الانصراف .

بادره سعيد هامساً : اعذرني يا محسن . . هناك صفقة لا أود أن أخسر عوائدها . . ولكن أي خدمة . . أي خدمة .
- شكراً . . كان الله في عونك !!

وقف محسن على الطريق ينتظر سيارة أجرة . . سأله سائق «التاكسي» : أي خدمة . . أي خدمة يا أخ ؟!

أجابه بعد تردد : مكتب الخطوط .



البحث عن الرياض .. في زمن الجفاف

انطلقت الجيـاد الى الميـدان . . تبعهـا «الأبجـر» بنظـراتـه الكسيرة ، لا شيء معه بجوار الحظيرة سوى بقايا هياكل حديدية تصـارع الصـدأ ، ترزح تحتهـا قطـع خشبيـة هامدة نحتتها الأيام فأحالتها الى حطب يحترق بلا زناد . .

أخـذ يذرع السـاحـة . . يدور في محيطهـا بالقدر الذي يجود به الحبـل المكبـل به . . يتقـزم في قفص الكـآبـة . . أعيـاه الدوران الرتيب ، يوقفه الارهاق لكن سكونه يغري تلك الكائنات الطائرة بالهبـوط عليـه . . تتراقص على جسمـه ، تلح في مداعبتـه . . تتطفـل على عينيـه ، عضلاته المترهلة لا تطيعه على انتهارها . . يتحفز الأبجر حانقاً : يلوي رقبته المتجمدة لينهشها يضجر ، فتقفز بخفة وعناد الى مكان آخر من جسده . . ، يعتصـره الغيـظ والآلم . .

يسمع عدو الجياد قادمة . . يصيخ بأذنيه . . تنتعش جوارحه ، الأرض من تحتـه يتمـوج خلالها ذلك العزف ، فتنساب أحاسيسه مع تلك الخطى . . يهتـز حنينـاً الى الماضي . . ينقر بقوائمه على أنغام الخيل العائدة .

تمتعض مشـاعـر النشوة فجأة . . ! فتتردى في شقوق الذكريات وحاضر الحزن . عدو الجياد لا يتناغم مع ايقاعه ، أصبح ضبحها

عويـلاً وصهيلهـا نشازاً ؟! يتوقف عن الايقاع . . تسبح نظراته في الأفق البعيد . .

أرخـى عنقـه ليسـد رمقـه . . تحسس الهشيم المنثـور تحت السنابك . . تأفف !! حتى «العلف» لم يعد كما كان ؟؟! . . . آه يا أيام الرياض الخضر ! . . . تغير كل شيء .

يطـرقـه السغب بالحاح . . يتطاول بعنقه الى شجرة الزينة . . تغـازلـه وريقـاتهـا المـدلاة . . لماذا غرست هنـا . . ؟ سأفتك بهذا القيـد . . لا بد أن أصـل . . أتقـوت منهـا . . أهـرش جلدي بأغصـانهـا ، بعيـداً عن الأنظـار، سوف أبيت بسببهـا خارج الاصطبل . . وليكن ما يكون . ما دمت قريباً منها . .

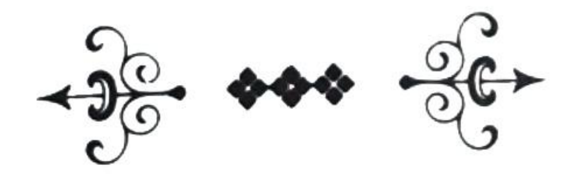
يا لحظي الغارب . . ان الجياد تقترب . . تصل بحماس . . ، سأجـتر الـوريقـات الـتي الـتهمتهـا ، وانسحب بهـدوء . . بكـبر يـاء . . انهـا تمضغني بغـرور الاختيـال . . الشفقـة . . النسيـان . من كان ينهب الميـدان . . يجتـاز التـلال والهضاب . . يسحق الحجـارة . . يقـدح فيهـا الشـرر؟؟ كانت الجيـاد تتفادى الشظـايا النافرة . تستنشق الغبار خلفي . . لا تجرؤ على اللحاق «بالأبجر» . . تنحسر لتقليد ذاك الشرر العجيب . . لقد تغير كل شيء !!

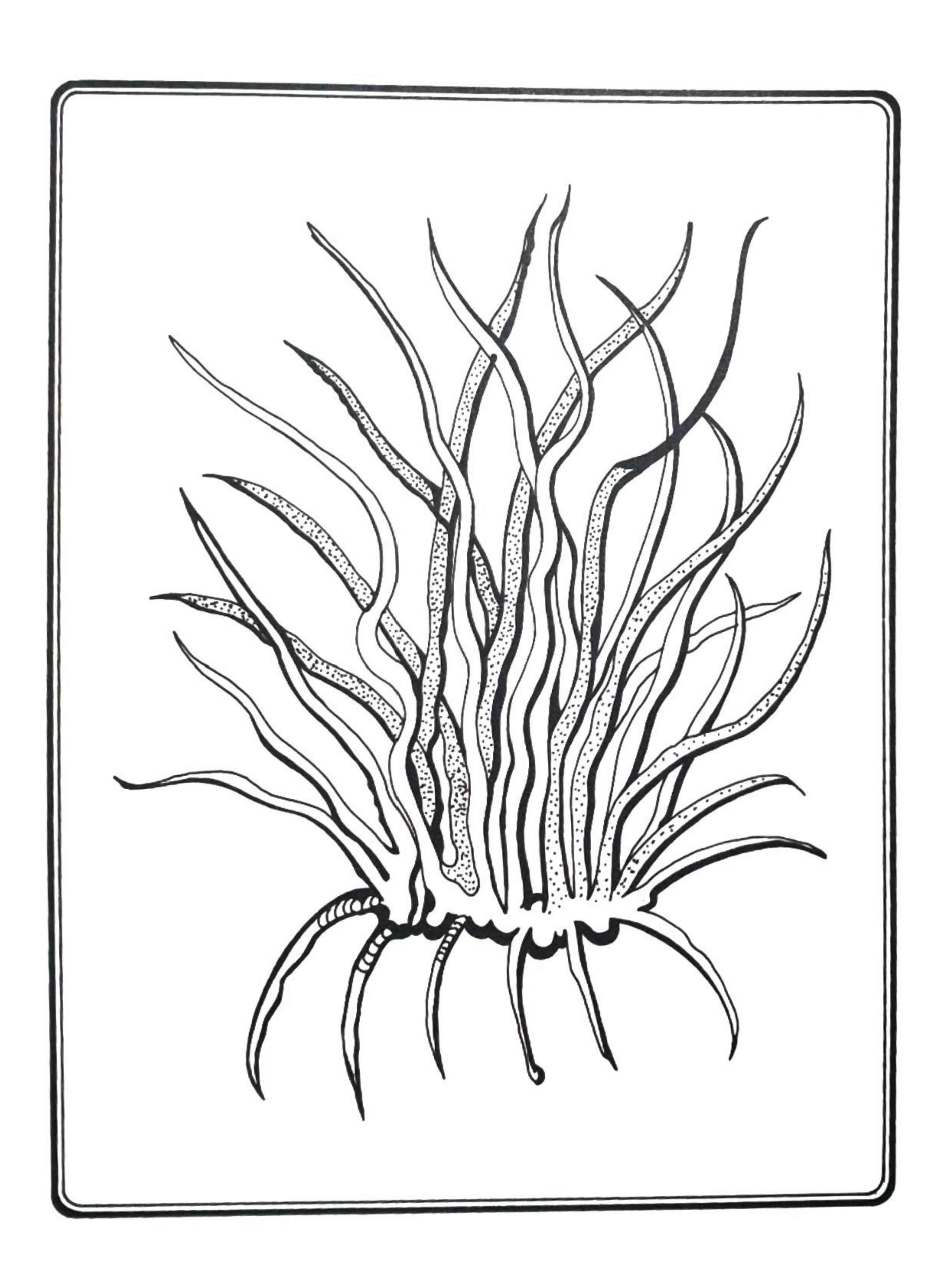
آه من ذلـك المهـر الشـرس . صاحب الحـدوة . . الحـدوة اللعينـة . بدايـة النهـايـة . . احتـل بها صهـوة المقدمة . . حطم الحـواجـز . . الكـل اقتنى حدوة ، لقـد رفضتهـا . . ولكن لماذا رفضتهـا ؟! . . لم أكن أعلم أن هذه الحـدوة المتمـردة تقـدح كل

الشـرر المصطنـع . . لم أستطيع الوثب بها على الطريق الممرد . . هذا الطـريق الأسـود يكوي الحافر . . يلهب الجلد ، لا بد له من حدوة . . لا بد له من حدوة .

آه يا زمن الـريـاض الخضـراء . . لا شيء يغـري بالبقـاء . . سأرحل . . سوف أبقى . . لا . . سأرحل سأعود على أي حال .

-١٤٠١هـ-





﴿ الأخطبـــوط والمستنقـــع ﴾

.. **لم كل** هذا القلق ؟ .. ألم أقـل لك اذهب اليـه تجد عنـده الحل ، ستصل الى غايتك بأي وسيلة .. عليك بأبي الأحابيل ، الكثـيرون يرسفـون في أغـلال خدمـاتـه التي ألجمت ألسنتهم ، وتجذمت بسببه أطرافهم ..

ـ لا فائـدة .. لقـد يئست بعـد أن طـرقت الأبـواب الموصـدة ، وسلكت كل سبيل .. لم أجد منفذاً لكن من هو أبو الأحابيل هذا ؟

ـ عجباً ، ألا تعـرفـه؟!! . انـه الأخطبـوط .. الأخطبوط . أنت مسكين لا تعرف شيئاً ، لأجل هذا غرقت في شبر ماء ..!

ـ لا .. بل أعـرف الكثـير ، أعـرف الحـمائم والصقـور . الأسماك والحيتـان ، الأسـود والنمور .. الدجاج والثعالب .. الا هذا الأخـ .. ـطبوط لم أسمع به من قبل .. هل هذا اسمه ؟!

ـ انـه عنـوان شهرتـه واعتزازه . اياك أن تناديه بغير هذا .. معظم الأسماء التي تعـرفهـا ستظـل تحت أذرعـه .. تقتـات على ما يتسـاقـط من بين فكيـه ، فاذا لم يجد ما يملأ بطنـه سرعـان ما يعتصرها .. يطحنها بشجاعة فتصبح جثثاً هامدة ..

ـ حتى الأسود ؟؟!!

ـ الأسـود ومن في وزنهـا : تراه يطـوف حولها يمسح أقدامها بلسانه

الغـروي ، وجسمه الهلامي فكثير منها تتلذذ بنعومة ملمسه . فيتسنم ظهورها دون أن تشعر . .

- لقد بعثت في الأمل . . شوقتني الى لقائه ، أين أجده ؟

- لن أستطيـع تحديـد مكـانـه لك ، ستجـده في أدغـال الغـابـة أو الصحراء القاحلة ذات الطرق الملتوية . . لكن مقره المعتاد في المستنقع . . ليس من السهل أن تلتقي به قبل أن تقدم اليه شيئاً . .

- تعني أن أقدم له «صدقة» ؟

- لا . . لا تقل صدقة . . سيغضب .

- ماذا أقول «هدية» لقد حيرتني !!

- لا تقل شيئاً . . ضعها بجانبه . . وكفى من هذه الأسئلة الساذجة .

- لكن ماذا تشير عليّ أن أقدم له . . ماذا يأكل ؟؟

- كل شيء . . لكنه شغوف بالنباتات الغضة ذات الأوراق الخضراء .

- أتشبعه حزمة النبات هذه ؟

- أرني أتذوق أوراقها لأحكم عليها . . أنها لذيذة . . حارقة تفتح شهيتـه ، لكن هل تعلم أننـا سنقع في ورطة لو علم الأخطبوط انـني اقـتطـفت من هذه الأوراق . . ان له حاسـة شم تخترق الأعماق وضحضاح المستنقعات . . فهل معك غير هذه الحزمة ؟

- سوف أقتلع أخرى ، ثم أذهب اليه .

ـ الحق به ، قبل طلوع النهار ، انه الآن في ذلك المستنقع ، ثم عد اليّ لتخبرني بما حدث . .

ـ ما بك تلهث ؟ لماذا رجعت بهذه السرعة ؟!

ـ لقد انطلقت اليه في الظلام . . لم أتبين طريقي . . سمعت نداء الفجر . قررت أن أصلي أولاً .

ـ لم تجده بعد الصلاة . . أليس كذلك ؟ . . ألم أقل لك لن تجده بسهولة . .

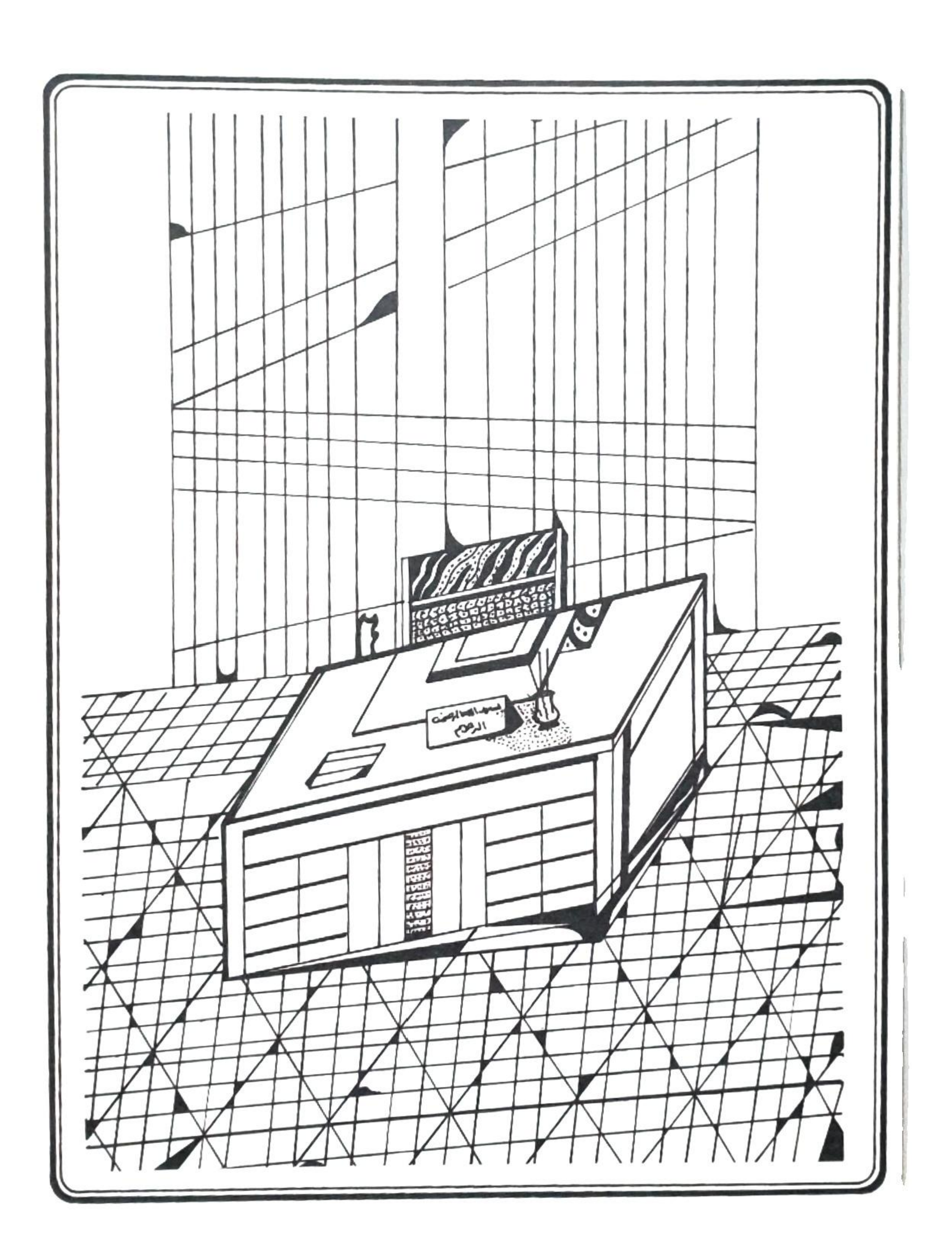
ـ دعني أتم كلامي . لقد عدت اليه فلم أجد المستنقع . .

ـ لا أكاد أصدق !! هل عرج به من مكانه ؟؟

ـ لا . . بل خسف به . . دفنته صحة البيئة ، شكراً لله . . كدت أدفن مع من فيه . . ؟

ـ ١٤٠١هـ ـ




بسم الله الرحمن
الرحيم



الاختيـــار

عجيب أمر هذا الموظف ! . . منذ متى وهو يجثم مديراً لهذه الإدارة . . لا أدري ، لِمَ يساورني شعور غامض نحوه ، لم يأت للقائي الّا متأخراً عن جميع الموظفين الذين حضروا جماعات لتحيتي واستقبالي . . جرأته تغيظني . . يتحدث ليّ من غير تكلف كأنه يخاطب صديقاً حميماً . وليس رئيسه العام . الغريب أن له طريقة مهذبة عندما يبدي رأياً أو يستشير في أمر ما . . !! انه مغرور ، أو لعل طريقته هذه طبيعة ساذجة أو بلاهة . ؟! لا أدري ، لكن لو كان كذلك لما كان جديراً بمسؤولية هذا القسم الهام من الإدارة العامة . كنت حريصاً على أن أكون أول من يحضر ، فأجده سبقني منهمكاً بين الأوراق والملفات . . ، اعتدت بين وقت وآخر أن أجد مكاناً خالياً في أول أسماء سجل حضور الموظفين ترك لأسمي وتوقيعي . فلا يقتحمه أحد.يبدو لي أن هذه عادة متبعة منذ زمن ليكون الرئيس في مقدمة الأسماء في هذا السجل حتى ولو حضر متأخراً أو لم يحضر . . ! لكن هذا الرجل عندما يحضر مبكراً ينسى أو لعله يتناسى أن يترك الفراغ المتعارف عليه لا أدري لماذا شخصية «محسن» هذا تغزو مخيلتي كثيراً !؟ كدت أشغل ذهني به ، أخذت أتتبع عمله . . أترصده أكثر من الآخرين . . ليتني اكتشف ثغرة أو خطأ ، ظننت مرة بأنني قد «كشفته» لكني لم أجد

بدأ من الاعتراف مع نفسي فقط بأنه كان على حق من خلال الحجج المقنعة التي أرغمني بأسلوبه الفريد على التسليم بها . بين يوم وآخر لا ألبث أن أرى فيه شيئاً جديداً يبدد غيوم التكلف والتبجيل التي كنت أرسف سعيداً في أغلالها ، صاحب السعادة . . طويل العمر . . سعادة الدكتور ، كل هذه الألقاب ومرادفاتها ليس في قاموسه شيء منها .

في ذلك الاجتماع العام لم يبق سواه . . لم يحضر بعد !! هزني ذلك الصمت المهيب الذي يسود قاعة الاجتماع كأننا في التشهد الأخير من الصلاة . . دلف «محسن» متأبطاً أوراقه . سلم بصوت مرتفع تناقلته جدران القاعة التي ضاقت بهذا الصمت ، وكأنها تستجيب احتفاء بقدوم محسن الذي اتجه اليّ ليضع تلك الأوراق قائلاً :

ـ كيف حالك ؟

ـ لم تأخرت عن الحضور ؟

ـ لم يؤخرني الا هذه البيانات ، ألم تطلب مني سرعة انجازها منذ قليل .

ـ هل أنهيتها جميعاً ؟

ـ نعم ، وأرجو أن تلقي نظرة عامة ، فجل من لا يخطىء .

ـ حسناً . . حسناً . . استرح .

وأخذ مكاناً بجوار الباب ، تحدثت كثيراً في الاجتماع . . تساءلت عن المشكلات . . الآراء وسبل تحسين الأداء ، تلفت كثيراً ، بجوار الباب رأيت يداً مرفوعة . .

- تفضل يا محسن ، هات ما عندك . .

- نريد أن نبحث قضية ازدواج الوجبات . . الروتين . . وفيتامين واو .

لم يكد ينتهِ من عبارته الأخيرة حتى انفرجت الشفاه عن ابتسامات تحاول التهام مظاهر التحفظ والتكلف اللذين كانا يكتنفان الجميع .

تسلمت البريد . . لم أفاجأ بخطاب انهاء انتدابي ، بعد أن أبديت رغبتي في النقل . . لكن الذي لم يخطر بذهني أن استشار لاختيار من يستلم مسئوليتي من زملاء العمل . . انه أمر في غاية الصعوبة بالنسبة لي . ليس من السهل عليّ أن أبت في هذا الأمر . . شعرت بالحيرة . . التردد . . المعاناة . الأسماء كثيرة سأحصرها في اثنين أو ثلاثة ، لكنها أخذت تتصارع في مخيلتي ، من الذي اختاره من هذه الأسماء ؟!! فلا ينتهى الصراع أمام العواطف والميول ، وما أن تجتمع المؤشرات لتحسم الأمر حتى تبددها أخرى ، الخدمة . . الخبرة . . المؤهل . . الشعور بالمسئولية . . الصداقة . . النزاهة . . كل المعايير التي صنفتها لم تستطع أن تبت في هذه القضية . . عجباً أيستحق الأمر كل هذه المعاناة ؟ ولكن لماذا لا أكتب خطاباً يتضمن الأسماء الثلاثة لترشيح احدها من هناك ، وينتهي الأمر ؟ ولكن قد يتم اختيار أول اسم ، فمن يا ترى أسجله أولاً ؟ ان الخطاب قد طلب تحديد اسم واحد فقط !! انه شيء محير ، لا أشك انني أصبت بالتردد والتعقيد والا لماذا كل هذه الدوامة ، يجب أن أترك هذا الأمر بضعة

أيـام ، فلم أدر خلالهـا كيف تسـربت الأخبـار ، بل انتشرت بأساليب عجيبة ، وترشيحات واحتمالات طريفة ، فلم ألبث أن أخذ الزملاء يفدون اليّ فأبادلهم مشاعر المجاملة لما يكال اليّ من اعجاب بحسن ادارتي وأسف على فراقي لقد كنت سعيداً بهذه المشاعر الكل يريدون التعبير بكلمات الوداع ، كان محسن آخر من حضر . شعرت أنه ينتظر دوره في التحدث ، لكنه فاجأني بالسؤال عن موضـوع يتعلق بالعمل لم يتم البت فيه ، لقد كنت أتلهف باهتمام الى كلمة وداع يقولها ، فسألني قائلاً :

- سمعت انك ستنتقل . . أصحيح هذا ؟
- نعم هذا صحيح وأتمنى أن تبقى أجمل الذكريات ، ما رأيك في أساليب العمل . . هل تحسنت خلال الفترة التي قضيتها معكم ؟
- الحقيقة أنها لم تتحسن بل في الطريق الى التحسن ، فالمسألة تعتمد على الوقت . وما دام النقل بناء على رغبتك فأدعو لك بالتوفيق . . كدت أنسى تلك المعاملة لم تبت في أمرها . فأرجو انهاءها قبل أن تذهب فليس من الأفضل تأخيرها لأن هذا يقضي اعادة النظر والدراسة من جديد .

كنت أحمل ذلك الخطاب معي ، في الجيب لا يفارقني ، أتأمله في كل مرة . . لا بد من الاختيار ، انها مهمة صعبة ، سأقترح اسماً واحداً ، يجب أن يبقى في غاية السرية ، فالأمر محرج جداً . . المهم أنني سأنام هذه الليلة . . ونمت نوماً عميقاً شعرت معه براحة افتقدتها منذ عشرة أيام ؟

- ١٣٩٨هـ -

■ ● ■

اللوحـــة

هل أنا وحدي أشعر بسرعة هذا الزمن ؟! . . اليوم الأربعاء ، الأسبـوع يحتضـر ، بل مات فجأة ، السـاعـات تنصهـر ساعـة واحدة ، فيمسي اليوم ساعة والشهر يوماً ، ويمضي العام دون أن ندري !! . يا ترى هل فقـدت الاحسـاس بهذا الزمن ؟!أم أنه لا يشعـر بوجـود أحـد على الـرغم من تراقصنـا فوق دواليبـه المسننـة فنكتوي بنارها سعداء ونحن نقطتف ثمار الأشياء الفجة .

أحقاً اليوم الأربعاء ؟ . . اذاً يوم غد الخميس ، شيء بهيج . . يوم الـراحـة ، يوم النـوم ، لكن ماذا عن تراكـمات ما قبـل يوم الخميس ؟! وكأنهـا معـامـلات وأوراق تراكمت في مكتب موظف كسول ، ـ عفواً ـ لا أقصد «كسول» بمعناها الحرفي ، أعني «غير متفرغ» ، على أي حال لا أقصد ذلك الموظف الذي دفن المعاملة في غياهب مكتبه . . ماذا لو سمعني . . حتماً سيزيدها كفناً آخر .

أف . . ها هي الـواجبـات تنهال من كل مكان . . وهل يتسع «الخميس» لكـل هذه المـراجعـات والطلبات والزيارات ، والنزهة أيضـاً ، لكنني أريـد مواصلة النـوم ، وهل أنسى تلك المعاملة ؟! وذلـك المـوظف ، ماذا أفعـل حين ابتليت به ، أكـاد أجـزم أنه لا يوجـد شخص يستطيـع أن يتحدث من غير أن تنفرج شفتاه سوى ذلـك المـوظف المتعجـرف ، انـه يرغمني على البحث عن وسيـط

اليـه !! ان كانت له حسنـة واحـدة فهي قدرتـه على تلقين دروس التعالي والغرور لكل من يتطبع بأخلاقه لكن من يلقنه نفس الدرس ؟!

لماذا يضيق الـزمن هكـذا ؟! . . سوف أقـترض شيئـاً من أيـام العمــل ، وهــل أخســر شيئـاً ؟ ، ثم ألا تكفي زيـارة الأقـارب بالهاتف ؟ . . علي بـ «التلفون» لألتقي بهم عبر أسلاكه الجامدة ، ماذا أصــاب الهــاتف !! . . لعله صمت احتجــاجــاً على هذه الوسيلة ، . سأذهب . . لا مفر من الخروج .

* * *

ليـت الـسيـــارة تتحــرك الآن . . حسنـــاً ، اشتغلت من أول «نقــرة» . . يا ساتــر يا رب . . لقــد بدأت تختنق كالعــادة . . ستقف ، وقفت وانتهى الأمـر ، بل بدأ الأمـر ، السيارات تتراكم خلف «النفـاثـة» كما يسميهـا بعض الـزمـلاء ، أخـذت المنبهات تصرخ غاضبة ، رجل المرور ينادي :

تحرك . . امش يا راعي الـ . . . . لعله لم يتبين معالمها .

- امش . . . . هات الونش
- لحظة . . . لحظة يا أخوان
- أف . . لا وقت لدينا ، قد جمدت الزمن علينا .
- من هذا «الغشيم» الذى سد الطريق ؟
- هيا ، الفزعة . . الفزعة يا شباب . .
- أتقول الفزعة ؟!!
- ادع «الونش»

ـ لنقذفها على هامش الطريق .

ـ انتبهوا . . انتبهوا . . الحفرة . . الحفرة . .

ـ اغمض عينيك ولا عليك .

* * *

تنفس الجميع بارتياح . . أخذت السيارات تنطلق من قيدها بشراسة ، أرى من بها يصفعون السيارة المنبوذة بنظراتهم النارية ، تدلى أحدهم برأسه نحوي ، سمعته يقول شيئاً . . ماذا قال ؟ . . انه بالتأكيد يشتم السيارة ، لقد سمعته قال كلمة «لوح» هل كان يشتمني ؟!! ، أنا . . أنا لوح يا : (. . . . . . .) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ليتني عرفته ، انه متنكر خلف نظارته ، يجب اللحاق به ، هرب . . بالتأكيد هرب ، لا بأس ما دام لم يسمعه أحد غيري .

ماذا يريد ذلك الرجل الآخر . . انه يناديني مبتسماً ، لعله يعرض عليّ خدماته .

ـ نعم ماذا تقول ؟

ـ أقول «خذ رقمه» .

ـ حتى أنت . . آه لو لم تكن صديقاً قديماً على ما أذكر .

ـ أنا لا أهزأ بك . . انني أضحك منك .

ـ كدت أن . .

ـ كدت تشتمني ؟ قلها . . قل «يا لوح» .

ـ اذن حتى أنت قد سمعته !!

ـ لم أسمع أحداً غيرك حين كنت تهذي بهذه الكلمة .

- عن اذنك ، دعني ألحق به . . رأيت سيارته تقف هناك ، سوف ألقنـه درساً على هذه الكلمة . . أنا يقول لي «لوح» سأصبغه بكل الكلمات وأكسوه ثوباً ببضع هللات ، انه هو بسيارته ونظارته . .

- هيه . . أنت يا أخ . . ، والتفت اليّ من فوق النظارة التي انزلقت على أرنبـة أنفـه ، من أرى انها ملامح ذاك الموظف . . انه هو ذلك الموظف الطاووسي ، أهذا أنت ؟

- ماذا تريد ؟

- . . . .

- قلت لك نعم . . لماذا انت صامت .

- لا شيء . . كنت أريد أن أسألك عن تلك «المعاملة» ألا ترى أنها تأخرت كثيراً ؟

- وأنت يا أخ ، ألا ترى أن الشارع ليس مكتباً لأنهاء المعاملات ؟!!

- لقد صدقت هذه المرة . . معك حق ، كنت أعني موضوعاً آخر . .

- قل يا أخي ماذا تريد ؟

- أخوك ؟! . . لوكنت كذلك لم تتأخر المعاملة . أردت أن أسألك عما كنت تقول حين مررت بي ؟

- كنت أصيح بك لتأخذ اللوحة .

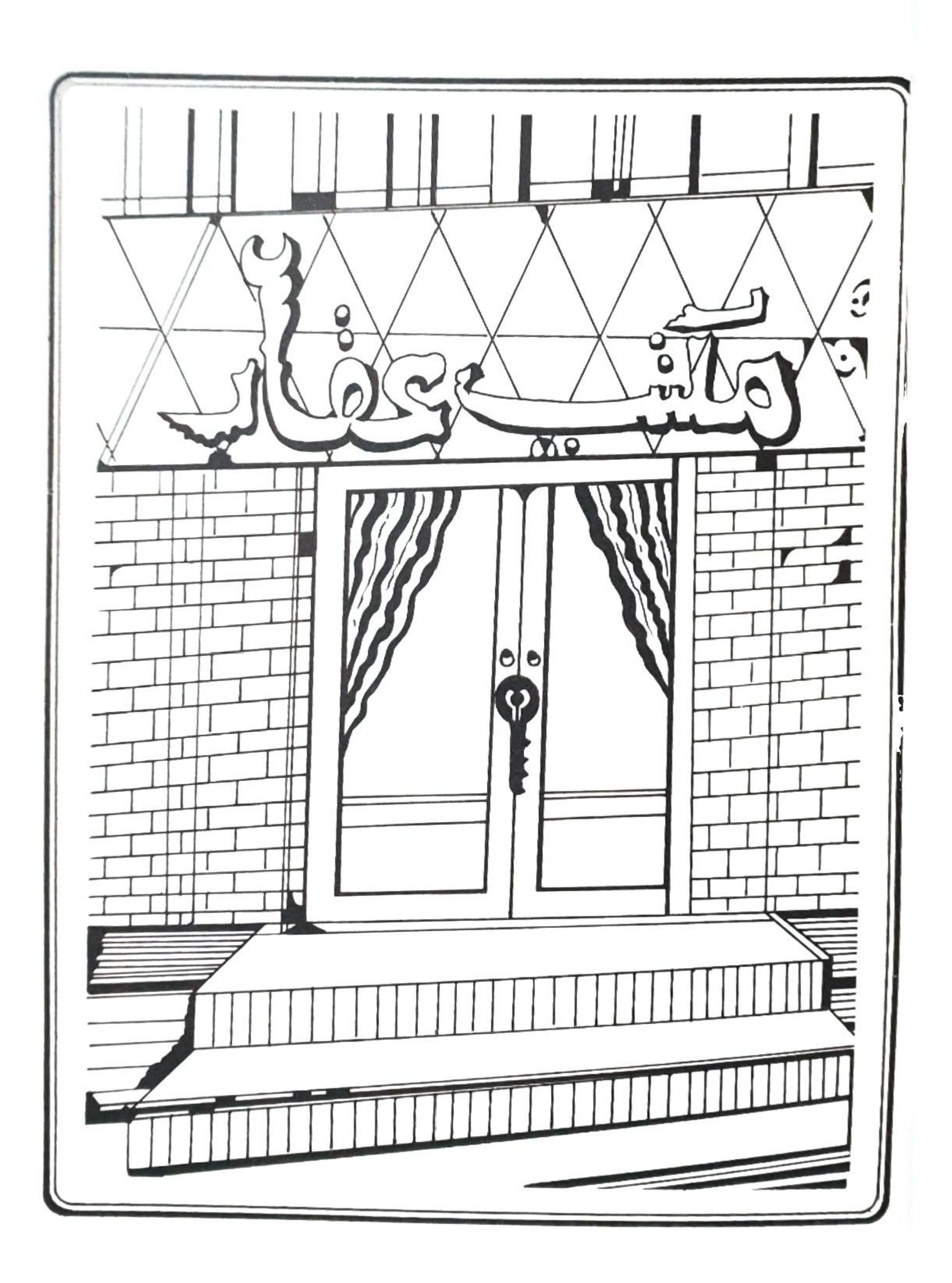
- لوحة ماذا ؟!

- لوحة السيارة ، هل أخذتها عندما سقطت ؟

- لوحة السيارة !!، أكنت تعني لوحة السيارة . .
- نعم ، ألم تجدها ؟
- شكراً . . شكراً ، سأعود للبحث عنها . .

-١٤٠٢هـ-




مكتب عقار

ملاعــق التـــراب

الساعة الثانية ليلاً ، العم يحيى تحت الدرج يغط في عالم آخر . . أخذت أنفاسه تغرغر حين انزلقت المخدة الاسفنجية من تحت رأسه ، فانهمك في مواصلة الشخير بطريقة لفتت اهتمام القطط التي تمددت وهي تمسح أشداقها باسترخاء وتثاؤب ، بعد أن التهمت ما لذّ لها من صناديق النفايات القابعة بجوار الأبواب . .

بهدوء وحذر أخذ ناصر يدير مفتاح «الشقة» ، انسل من ثوبه ، لم يطأ هذه المرة أحداً من أطفاله فيصرخ باكياً . . حتى زوجته لم تصح من نومها لتسأله كعادتها «أين كنت الى هذه الساعة» . .

تلفت يميناً وشمالاً . . تنهد ، ألا ليت الغرف كثيرة . . متى نخرج من هذا الصندوق . . ويتحقق الحلم ؟ . . قطعة . . قطعة أرض صغيرة ، سوف أرسم لها المواصفات بنفسي ، ستكون أجمل من كل ما رأيت . . أحاديث السهرة ما برحت مستيقظة في ذهنه ، تمنى لو استمر الأصدقاء في لعبة «البلوت» لكان أهدأ لأعصابه ، ولعاد يبحث عنه النوم ، بدلاً من الحديث عن الأراضي والعمارات . .

سؤال أحدهم ما زال يلح في الجواب :

- لماذا تحاول أن تغير موضوع الحديث بعيداً عن الأراضي والمخططات ؟؟!

- وماذا نستفيد ، من هذه الأسطوانة مع نهاية كل سهرة . . ألا تريدون أن ننام بهدوء ؟؟
- يا للزهد والقناعة !! أم لأنك على الحديدة ؟
- بصراحة . . أنا قنوع . . لا أريد سوى عمارة وسط المدينة مع «فلة» على المفتاح ، ولا بأس بمخطط جديد على الشاطىء .

كان شريط السهرة يواصل الدوران حين أسلم رأسه للنوم ، لينداح مواصلاً مسيرته على الوجه الآخر ليبحر به الى الدنيا الجديدة التي لم يشهدها من قبل . . !! فجأة وبدون مقدمات ، وجد نفسه في أرض تربتها خضراء . . جبالها ، ووديانها ، منازلها كلها خضراء ، الناس لباسهم أخضر «كل شيء بها أخضر . .» . . ماذا أرى ؟ . . لا أفهم شيئاً مما أنا فيه !! ، لكن ما شأن ذلك الرجل ؟ انه يحمل فوق رأسه شيئاً أخضر . . أراه يطرق الأبواب . . أهو بائع متجول يحمل لوحاً أخضر ؟؟ لا أرى أحداً يشتري منه شيئاً . . !! أنه يواصل السير ، يجب أن أسأل عنه . . من أسأل ؟ سوف أسأل ذلك الرجل الذي يمشط لحيته الخضراء . . بم أناديه ؟ . . يا عم . . أويا شيخ ؟ ليتني أعرف اسم ابنه لأدعوه به ، ربما «أبو خضر» :

- يا أخ . . يا سيدنا الشيخ . . من هو ذلك الرجل ؟ ماذا يحمل ؟؟
- من تعني يا بني ؟
- أعني ذاك الذي يحمل فوق رأسه شيئاً .
- ولم تسأل عنه بهذه اللهفة ؟! ما شأنك بالناس يا صغيري !!

- صغيرك ؟ . . أأنا صغيرك ؟!
- لا بأس . . انه يحمل فوق رأسه قطعة أرض ، ويريد أن ينفك منها .
- أراه يتجــول بها من منـزل لآخـر . . هل هي «مشتـولـة» ، فلم يشترها أحد ؟
- من أين أتيت يا بني . . كاد أن يسود شعر رأسي من أسئلتك . .
انه يريد أن يعطيها لمن يريدها وكلما قدمها الى أحد نصحه بأن يهبها لآخر ، أفهمت ؟
- أتقول : يهبها ؟!!
- نعم . . نعم ، وهل تريدها ؟!
- أين الصك . . وأين الرخصة . . وكم واجهة لها ؟؟ . .
- لم أفهم ما تعنيه ، عليك أن تنتظر قليلاً حتى تصل الأرض اليك .
- انتظر !! . . لا ، أن ألحق به لأقف في طريقه لئلا تصل الى أحد غيري . . انها فرصة ، ولن تفوتني هذه المرة .
ما أكــبرهــا ! . . رائعــة . . على ست جهــات ، وليس بها «شطفة» سأحملها على رأسي وأصفق فرحاً . . ، يجب أن أعود بها قبـل أن يصحـو «يحيى» حارس العـمارة ، ماذا لو رآهـا ، وطلبهـا مني ؟ . . لا . . لست مجنـونـاً . . انهـا لي ، أنـا أحق بها ، سوف أضعهـا على سطـح تلك العـمارة الكبـيرة ، وسـط المدينة أحسن مكـان لها ، الا أضعهـا على الشاطىء أحسن ؟ والمدّ ؟ سأجعلها بعيدة قليلاً عنه . .

آه . . ماذا أحس ؟! لم أعد أستطيع التصفيق والتغريد . . الأرض بدأت تثقل ، لقد تزايد وزنها . . كانت مثل الريشة !! لعل بها صخوراً . . ومن يدري ، ربما في جوفها بئر ماء ؟؟!

رأسي . . آه . . رقبتي ، ليكن ما يكون ، يتحطم كل شيء . . الآ هي ، أين أنت يا عم (يحيى) ساعدني أين أضعها . . أين ؟؟

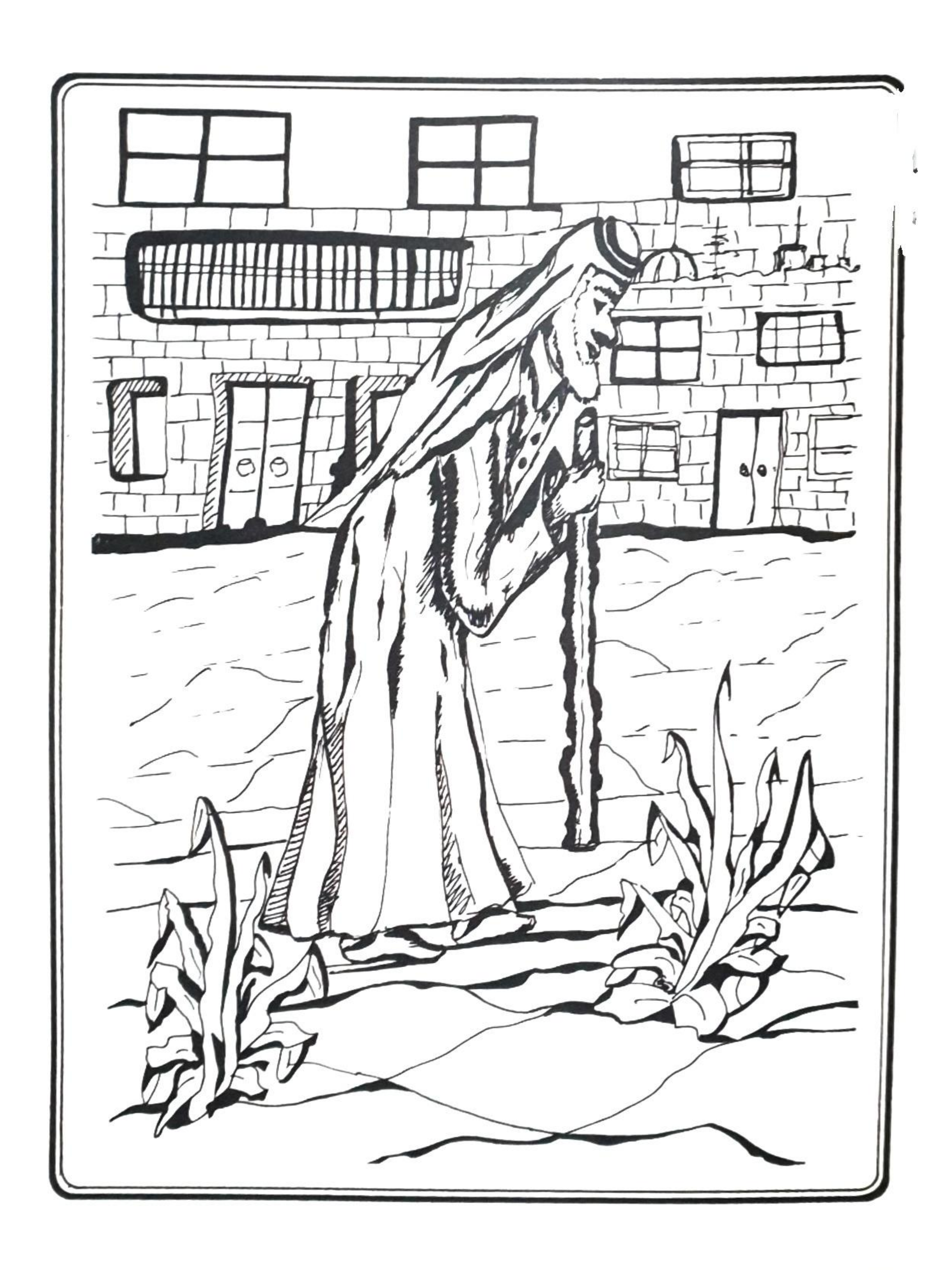
- لن أقول لك ، هل تعطيني منها «شتفة» .
- ماذا قلت ؟!
- «وصلة . . وصلة» منها .
- اذهب عني ، لو انخفض رأسي ليصبح مثل اسفنجتك البالية ، فلن أعطيك منها ملعقة تراب .
- مهلاً . . لا تغضب ، أني أمازحك .
- رعاك الله يا صديقي «يحيى» ، اذن بم تنصحني . . أين أضعها ؟
- اذهب بها الى المكان الفسيح .
- أين ؟ . . عند أهل «الكورة» ؟
- لا . . لن أضعها هناك ، سوف يحفرونها بأرجلهم الكاسرة . . آه ، يا رأسي . . ساقاي ، وقلبي أسرع فكر معي ، أرجوك ، سأدفن تحتها . .
- هل تعطيني منها ؟
- لا أحتمل المزاح ، هل أجد عندك مكاناً عالي الأسوار لأضعها فيها ؟

ـ نعم ، أعرف مكاناً واسعاً ، تعال لأصف لك مكانه ، هيا معي .

ـ لكن لماذا تهزكتفي بقـوة ؟ . . اني أتـرنـح . أغـرق . . عرفتـك يا . . يا طماع ، أرضي لن تتكسر ولن تأخذ منها ملعقة تراب .

ـ ١٤٠٠هـ ـ







يدب منفـــرداً .. يتجـرع الملل في ذلـك الشـارع الضيق .. يتهـاوى جسمـه الماحل على عكازه الخيزراني فيتحسس به الأشياء المهملة .. يتفحصهـا بعشـوائيـة وكأنـه يبحث عما يشغـل وحدته ويبـدد سآمتـه في ذلك «الزقاق» الخالي من المارة في فترة الضحى . نصب كفـه المـرتعشـة فوق حاجبـه الأبيض يترقب خروج اولئـك الأطفـال الصغار الذين اعتاد الجلوس معهم ومداعبتهم .. لكن تلك العصـافـير الصغـيرة لم تبرح أعشـاشهـا بعد ، تذكر شيئاً ، توقف .. ولف جسمـه المتقـوس حول العصا متجهاً الى المنزل ، خرج يسحب بخطى متعثرة وعاء النفايات ليلقيه في صندوق كبير يختنق به عنق الشـارع .. أخـذ يستعجل قدميه الذابلتين لئلا يراه أحد ابنائه فلا يكفون عن معاتبته بنبرات العطف واللوم والنصيحة فتختلط عليـه المشـاعـر وكأنهم يعيدون الى ذهنه سلطته عليهم في السنين الغابرة .

استنفـذ قواه ليصـل بالسطل الى حيث أراد ، لم يستطيع افراغ محتوياته في الصندوق .. وقف متحيراً ، اقترب منه أحد المارة لمساعدته :

- دعه عنك لماذا أنت يا شيبه ؟!

- رمقه بنظرة شكر واستفسار عما قال ؟ .

ـ أقول لم لا تتركه بجوار الباب ؟!

ـ أتسلى . . أتسلى يا ولدي . . يالله حسن الختام .

استرد نفساً لاهثاً ليواصل حديثه لكن الرجل قد ابتعد بخطواته العاجلة تاركاً الشيخ يغوص في أعماق الماضي . . أيام الشدة والشباب تلك الذكريات البطولية التي لا يفتأ يعيد سردها على أفراد الأسرة كل مساء ، فلا ينافسه ويدمي ذكرياته العزيزة الا انصرافهم لمشاهدة (التلفاز) فيتساءل بحنق :

ـ ألا تملون من هذا (الجني) الذي أخرسنا وأعمى عيونكم ؟ . . أخبروني ماذا يقول «تلف العيون» هذا ؟! .

ويكرر سؤاله فلا يجد الا اجابة عاجلة لا يفهمها ، فيصمت مردداً : «تكلم الحديد واقترب البعيد» . تذكر أولئك اطفال . . أخذ يتلفت يميناً وشمالاً تلتبس عليه المرئيات تهالك على طرف الرصيف كشف عن ساقيه الواهنتين لعل أشعة الشمس الدافئة توقد فيهما شيئاً من النشاط . . أسقط عصاه الملساء . . انزلقت لتبتعد عن متناول يده ، شعر بالندم حين قذف بها . . كيف أصل اليها . . من يعيدها اليّ ، أخذ يستجدي ركبتيه المتصلبتين وعضلاته الحريرية ، أبصر أحد الأطفال ينطلق واثباً . . يلاعب الهواء بخطواته الراقصة ، تبدد همه بخروج أول عصفور ، ناداه بايماءة من أطراف أصابعه . كانت يده الأخرى تندس في جيبه ليطمئن على قطع النقود المعدنية ، كبذور يطعمها عصافيره الرشيقة التي أخذت ترفرف وتجتمع حوله . كانت نظرات الأطفال ترنو باهتمام وطول انتظار الى جيبه «ليطيروا» بعد ذلك بعيداً عنه . .

أخذ يرشوهم على البقاء بجانبه . .

أتـريـدون حكـايـة «الـذئب والـراعي» والا حكـايـة «زلالـة والسعليـة» ؟ لكنهم ما لبثـوا أن قطعـوا عليـه حديثـه القصصي بحـركـات بهلوانيـة يقلدون بها «جـراين دايـزر» . . كوجي . . فوكفليـد «خطف أحـدهم العصـا وهـو يردد (الـرزة المـزدوجة . . الصحن الدوار) لم تعجبه هذه الأصوات الصاخبة .

- اسمعوا . . اسمعوني : هل تريدون شراء الحلاوة ؟ .

- لا . . نريد «ايسكريم» ؟ .

- «كريم» . . هل هو مثل الحلاوة ؟ .

- لا . . انه أحسن من الحلوى .

- لكن حلاوتنا كانت التمر ، أتريدون حبات تمر ؟ .

- لا نحب التمر . . يالله أعطنا . .

أدخـل يده في جيبـه ببطء ليلتقـط تلك القـروش ، سمعـوا صلصلتها فهتفوا بصوت واحد :

- لا نريد القروش ، أعطنا ريالات ، نريد ايسكريم . . ايسكريم .

- ريـالات ؟! . . كنـا نشـتري بالـريـال نخلة تمر ، والا كبشـاً أقـرن . . !! ابشـروا . . تكـرمـون . . هيـا خذوا لكل واحد منكم ريـالاً . وهـذا ريـال لي . . اشتروا لي به . من هذا الكريم لعل طعمه مثل اسمه .

انطلق الأطفـال وعـاد احدهم ليضع في يده شيئاً بارداً زاد كفيه جموداً وشفتيه ارتعاشاً . . أحس بخطوات تقترب منه سأله ابنه وهو

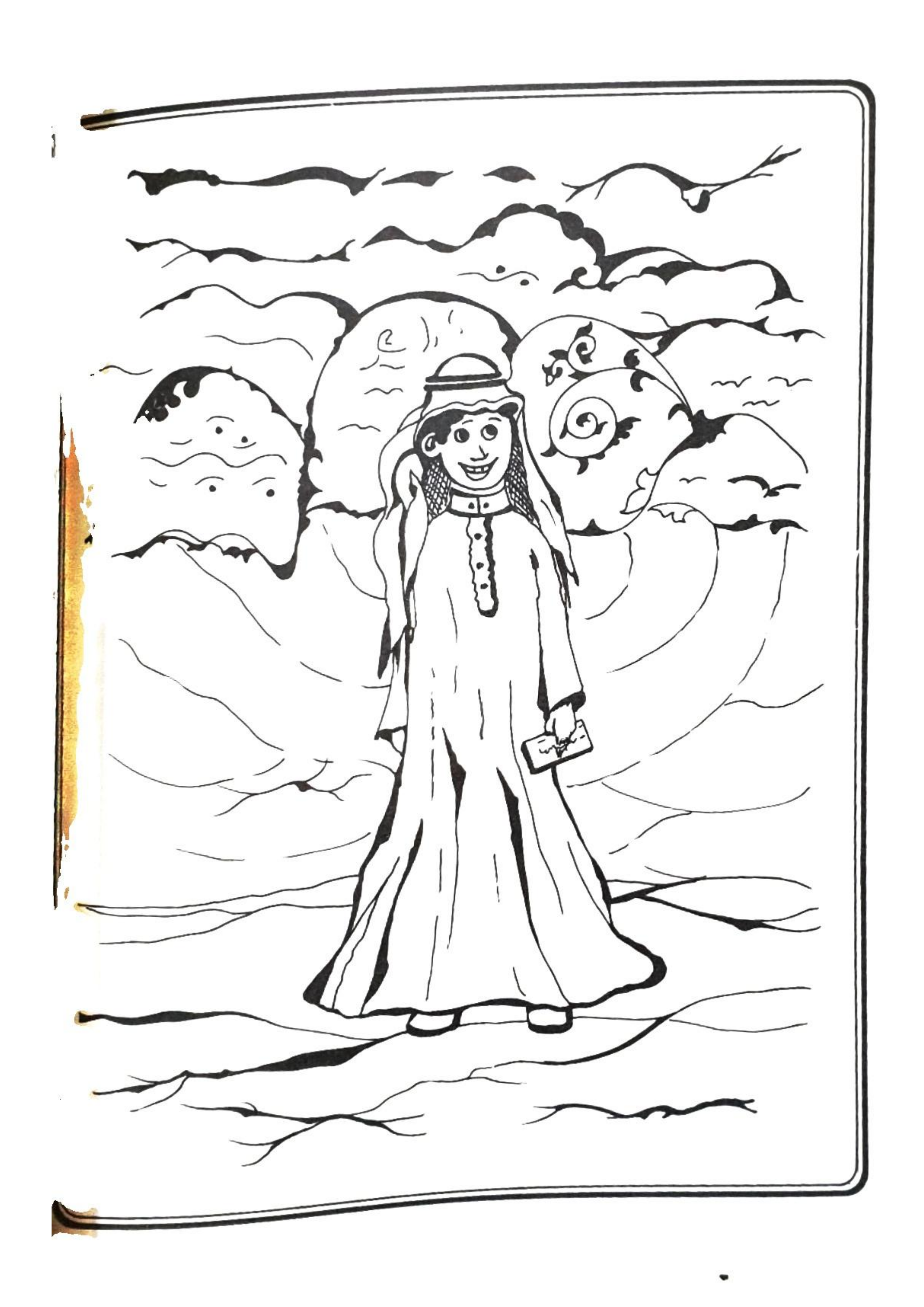
يبتسم بمرارة ويتلفت حوله :

ـ ما هذا يا أبي !؟ . . ألم نقل لك استرح في البيت ؟! . . هيا . .

وامسك بيده ليقوده الى المنزل .

ـ صفر ١٤٠٠هـ ـ







من أجلك يا بني

- . . **شيء** محزن حقاً . .
- لا تبتئس . . الأمر ليس الى هذه الدرجة . ما دمت تدخن أنت فلا تستغرب أن يدخن ابنك . .
- ألا يكفي أنا . . لقد عانيت منه كثيراً . . منذ زمن وأنا في صراع معه . .
- صراع مع ابنك ؟
- لا انني أقصد السيجارة . . بعد أن أحسست نذير الخطر . . فاكتشف أن ابني يدخن !!

* * *

- تعال يا ولد .
- نعم يا أبي .
- أنت تدخن .
- من قال هذا ؟! . . أبداً أبداً . . أنا لا أدخن .
- اياك أن تكذب . . أصدقني القول . . منذ متى وأنت تدخن ؟
- أنا لا أدخن .
- لا تشق مرارتي . . وجهك الملتوي لا يخفي شيئاً ، شفتك الرمادية المتشققة لا زالت ترتسم عليها قبلات السيجارة اللعينة . . لقد ارتبت في أمرك منذ أن بدأت تذهب ولا

تعـود . . تخسخس هنـا وهناك . . نسأل عنك فلا نجدك ، لم يتبادر الى ذهني بأنك تمارس هذه العادة ، أجبني : كيف بدأت تدخن ؟ من علمك ؟؟ أنت !! . . أنت في هذا العمر الغض تدخن . . الا التدخين . . انني أحذرك يا «نويصر» . . سوف أحشو فمك بها ، وأكويك بنارها . . هيـا اصرف وجهك عني . .

لم يكد يصدق نويصر بالنجاة ، فانبرى يبحث من غير تردد عن علبة السجاير التي قذف بها جانباً ليواريها عن أنظار أبيه ، بينما بقي أبـوه وحيـداً حانقـاً يتجـرع متـاعب المـوقف . . امتشق السيجارة بآليـة . . وكأنـه يريد أن يطفيء بها شيئاً مشتعلاً في صدره . . انها الـوسيلة التي يظن أنهـا قادرة على تبـدبـد غضبه من تصرفات هذا الـولـد العنيـد «تنبـاكـان» . . ومـع ذلـك فهـوينكـر باصـرار أنـه يدخــن . . أكــاد أجــن . . ألا يكـفي ما أعــانيــه من متــاعب التـدخـين . . لا فائـدة . . لا فائـدة ، لقد وقع وانتهى الأمر . . ولكن ماذا أفعل ؟! . .

سحب نفسـاً عميقـاً ، أحس بأن شعلة نار تلهب حنجـرتـه ورئتيـه . . أخـذ يقـاوم سعـالـه المتفجر . . آه من هذا الولد ، لا يهمني شيء سواه ، هل يطيعني ؟ أيـترك السجـاير ؟! . . يجب أن أعـاقبـه . . بم أعـاقبه ؟ . . هل ينفع الضرب . . أو الحرمان . . الـقطـيعـة ؟؟ يا الهي . . ربــع قرن وأنــا أمــارس التــدريس و«التدخين» . . ثم أقف عاجزاً عن تربية ابني . . شيء مخجل . . ولكن ما العمل ؟؟ . .

وسرح بخياله لتجري به أحلام اليقظة في لجة المعاناة والحيرة . . أيتقبل نصيحتي حين انهاه عن شيء أمارسه بكل اهتمام . . يجب أن أقنعه ، سوف أضرب له مثلاً من انسحاق خدماتي الطويلة في أسر هذه السيجارة ، لكن كلماتي ستختنق أمام سحب الدخان التي أنفثها أمامه ، وكانها تتصاعد هازئة بما أقول . .

ماذا لو فاجأني «نويصر» وهو يقول :

- (أبي . . أبي : انني أعترف لك) ، لا ريب انني سأكون سعيداً بصراحته ، لكن يجب أن أبقى على قسمات الكآبة والغضب ، وكأني لا أريد أن أسمعه . .
- ماذا تقول ؟
- انني أدخن .
- أتقولها بكل جرأة ؟!
- ألا تحب أن أكون صادقاً ؟
- لم تأت بجديد . . اعلم هذا ، أريد أن أعرف النهاية معك .
- سوف أترك التدخين يا أبي . . ولكن بشرط . .
- شرط ؟! . . وتشترط أيضاً ، لعلك تريد سيارة . . أو السفر الى خارج المملكة ؟ . . ماذا تريد . . ما هو طلبك ؟؟؟
- أريد أن نترك التدخين معاً . .
- أعد . . أعد عليّ ، لا أصدق ما قلت . . أنت تشترط عليّ !! وبكل جرأة ووقاحة . .
- أرجوك أن تفهمني يا أبي .

- أفهمك . . أبشر يا أبي . . أصبحت ولدك . . انت أبي في هذا العصر ، هل بلغت بك الجرأة أن تقف أمامي هذا الموقف ، فتطلب مني أن أترك التدخين !! . . لكن أنا السبب حين كنت أعاملك كرجل . . أتحدث معك وكأنك أخي ، الآن جئت تتحداني . . تساومني ؟!!

- آسف يا أبي . .

- لست أباك . . انقلع . . لا أريد أن أراك . .

في خضم أحلام اليقظة التي كان أبو نويصر يعيش وقائعها ، فقد أخذ منه الحنق كل مأخذ ، كان صدره يعلو ويهبط . . نضح جبينه بأخيلته المنفعلة ، وتعالت أنفاسه الغاضبة ، فلم ينتزعه عن السرحان سوى لسعات عقب السيجارة بين اصبعيه بعد أن أتت على النهاية لكنها احتفظت بهيكلها الرمادي المحترق . . سحقها بعصبية . . كاد أن يستخرج أخرى ، . . توقف يستعيد ذلك المشهد الخيالي . . مستحيل . . مستحيل أن يفعلها «نويصر» . . ليته يفعل ، ولم لا أفعلها أنا . . استعنت بالله ، يجب أن أحطم هذه العلبة أولاً .

- يا ناصر . . تعال يا بني . .

أخذ نويصر يفرغ ما في جيبه مرة أخرى . . كان حريصاً ألا يقترب من أبيه ، . . ان رائحة السجاير لا تخفي عليه مهما حاول اخفاءها . .

- نعم . . نعم يا أبي . .

- سنتفق أنا وأنت على أمر هام . . ولكن هل تعاهدني على الوفاء ؟؟

- ذو الحجة ١٤٠٤هـ -

﴿ أنـــا . . . ولحيتـي ﴾

أطلق لحيته في كل اتجاه ، لم يتدخل في شئونها كثيراً . . ، كان يجلس متر بعـاً أمام «شيشة الجراك» كحاو يراقص الثعابين في ذلك المقهى المتهـالـك ، انـه لا يستحق أن يسمى مقهى ، لكن لوحـة صدئة قد خلع جانب منها كتب عليها بخط رديء «منتزه السعادة» فأخـذت الـريـاح تعبث بها من كل جانب أمـا أرضية المقهى فقد حجب رملها الناعم بقطع بالية من بساط تعلوه طبقات غروية من الرواسب المتراكمة . . والثقوب المحترقة ، انه يذكره بسفل قديم هجـره أهله منـذ زمن . . أخذ صاحبي «محمد» ينظر مشدوهاً الى صدر صاحب اللحية وهو يعلو ويهبط بايقاع رتيب . .

- التفت اليّ محمد محتجاً : أتريد أن نجلس هنا ؟؟!

لم أجبه ، فقد كنت أتابع صاحب اللحية الطويلة والشيشة التي انتصبت أمامه يتبادلان القبلات الملتهبة .

- ألا ترى ؟! . . انظر الى سحب الدخان .

- ان لحيته تحترق !!

- هيا . . يبدو أن الرجل قد أدرك ما يثير استغرابنا . .

والتفت الرجل الينا قائلاً :

- تفضلا . .

- شكراً . . شكراً ، ألا يوجد غير هذا المكان ؟

- يوجد . . انها كثيرة ونظيفة «بس» ما فيها «شيش» ممتازة .
- ابتسامتك تغريني بأن أقول لك شيئاً . . هل تأذن لي ؟؟
- لقد عرفت . . عرفت ما تريد قوله : تعني «الشيشة» .
- انها لا تنسجم مع هذه اللحية «الغانمة» .

وأطلق ضحكــة مجلجلة ظن معهــا صاحب المقهى أن الهـواء يقتلع صفائح السقف ويطيح بمنشئات «مقهى السعادة» .

- معــك حق ، أعـرف بأنهــا . . ماذا أقـول عنهــا . . «الله يتـوب علينا» ، ألا تجلسان ؟
- شكراً ، سوف نعود . .

* * *

أخــذت السيــارة تتهــادى بين مرتفعــات «الشفــا» ، وتفــاصيل المشهد لم تغب عن ذهن كل منا . ، أخذ محمد يداعب لحيته ، انها طويلة وجميلة ليست مثل صاحب الشيشة ، سألته :

- ما رأيك . . سوف أطلق لحيتي مثلك ؟
- رائع . . وليتك تمتنع عن الشيشة ، أما زلت «تشربها» ؟
- ليتني أستطيع ، ماذا لوكنت تدخن بلحيتك هذه ؟

شيء مضحـك ، ومثـير ، أمـا رأيت ذلـك الـرجـل وهوينفث الدخان ، ان وجهه يذكرني بغابة تكتنفها سحب الضباب من كل جانب . .

وفجأة انطلقت من جانبنـا سيـارة كالصاروخ ، فجمدت على شفــاهنــا الكلمات ، وكأنهــا تحذرنــا من مواصلة التحـدث عن الناس . . ، وضع كل منا يده على قلبه . .

ـ يا له من متهور . . سألحق به . . !!
ـ لا . . اتركه . . سلمنا .
ـ حسناً . . الحمد لله .

* * *

واصلنا السير ، ولكن ببطء أكبر الى محطة «البنزين» ، لم نتوقع أن نجد صاحب السيارة أمامنا كان محاذياً لنا . . وددت ألا يتحدث أحدنا معه ، لم يتمالك محمد أن بادره :
ـ ما هذه السرعة . .
ـ لست مسرعاً .
ـ فعلاً . . هذه ليست سرعة ! انها جنون .
ـ أنت السبب ، أماكدت أن تدخل في طريقي ؟!
ـ أنا السبب ؟! . . الطريق ليس لك وحدك . . .
ـ بل أنت المخطىء . . كنت أعتقد بأنك متزن بلحيتك الطويلة هذه . .
ـ وما شأن لحيتي بالموضوع . . هداك الله . .
ـ الله يهديك أنت .
ـ آمين . . وانت ألا تريدها ؟!
وتقاطر الناس حين ارتفعت الأصوات ، ضاح محمد محتجاً :
ـ يا ناس . . لماذا تسكتونني وحدي ؟! . . ألا تريدون معرفة المخطىء ؟!!
ـ انت أوسع صدراً ، واكبر عقلاً بهذه اللحية . .
ـ أريد أن أشرح لكم ما حدث ، أرجوكم .

- لا يهم ، لا نريد شرح ما حدث ، نريد فك الاشتباك وحسب .

أخذ كل منا يسترد أنفاسه ، ويصلح من هندامه وعقاله الذي عاد الى قاعدته سالماً ، لم أتمالك أن ضحكت . . واصلت الضحك .

- أو تضحك . . أما سمعتهم يلومونني وحدي .

- لقد توسموا فيك الخير يا رجل .

- أرجو ذلك ، وسأقص عليك ما حدث معي أمس :

لقد ذهبت لشراء الحاجات ، خيل اليّ أنني دفعت أقل من السعر المعتاد ، لأن البائع فاجأني قائلاً : «اكراماً لهذه اللحية ، أراعيك» .

- على هذا الحال سوف أربي لحيتي مثلك .

- دعني أكمل .

أثناء عودتي ، توقفت أمام «فرن التميس» ، انتظمت مع الناس . . رأيت رجلاً يتقدم من كان قبله . . تسلل أمامي . سبقني لأخذ ما يريد ، نظرت اليه بصمت ، ثم سألت الخباز «الأفغاني» : ألا يوجد «سراء» يعني . . ترتيب . . ترتيب ؟؟

- أجابني مبتسماً وهو يمسح لحيته الكثيفة :

«أنت لازم صبر . . ما فيه صبر ؟ . . لحية كبير ، صبر ما فيه ؟!» .

- «أنا صبر فيه . . لكن نظام ما فيه» . . أرأيت ؟؟!

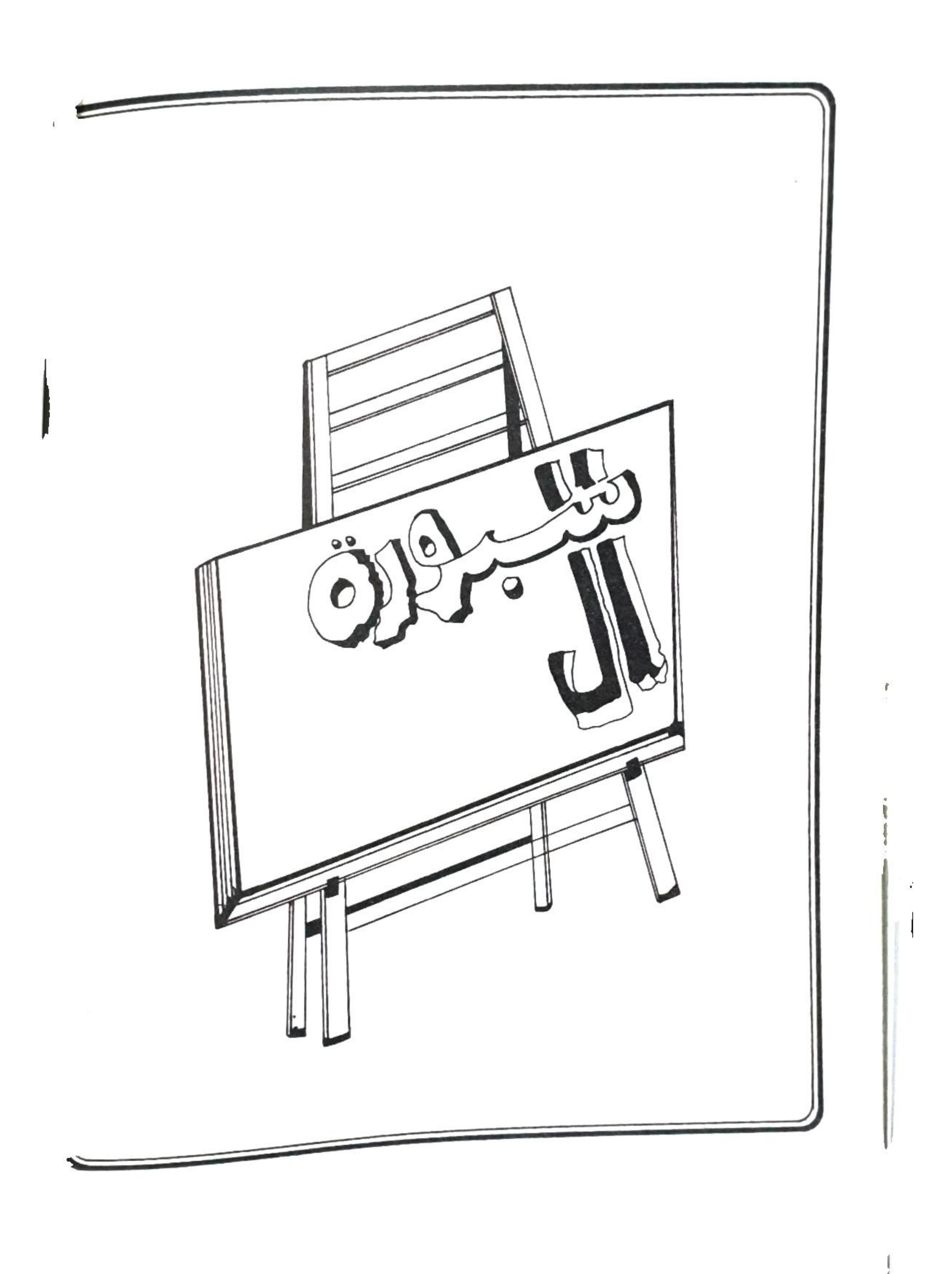
- وماذا قررت بشأنها ؟

- بشأن ماذا ؟!

- اللحية .

- سأجعلها أكبر طولاً .

-١٤٠٥هـ-


السبورة



درس خارج المنهج

مسح السبورة . . ضرب كفاً بكف ، ليزيل غبار الطباشير من أصابعه وراحتيه . . فرك أنفه لمقاومة تلك العطسات التي تداعبه ويثيرها التراب الأبيض ، فلا تخلو تضاريس وجهه من تلك البصمات الترابية ، وكأنها لمسات فنية تجتذب أعين التلاميذ ، أحس بجفاف حلقه ، وهو ينتقل من فصل الى آخر ، تترسب في حنجرته طبقة طباشيرية تزيد سمكاً مع أنفاسه . . ، تنحنح ، عطس ، . . حمداً لله ، وأرهف سمعه لعل أحدهم يقول : «يرحمك الله» .

- ماذا يقال للعاطس اذا حمد الله ؟ . . ولم يكن ينتظر الاجابة ، الا ان أحد التلاميذ أجاب : نعم لقد درسنا تشميت العاطس ونحن في المرحلة الابتدائية .
- لدى سؤال ، بل «فزورة طريفة» . . شيء يفيد العقل لكن يضر التنفس ، ما هو؟
- أجابه أحدهم بسرعة : أنه البصل .
- من قال لك هذا ؟؟!!
- جدتي . . كانت تقول «البصل دواء للرأس» .

لم يستطيع التلاميذ كبت ضحكاتهم ، طاف بذهن المعلم صورة والدته المسنة واصرارها على تناول نوع واحد من الطعام في الوجبة

الواحدة ، فلا تتزحزح عن مقولتها : «التخليط في الأكل يضر أكثر مما ينفع» من يدرى لعل هذه القناعات التي نضحك منها تكون في يوم ما نظريات تعدلها البحوث والرسائل العلمية . .

. . أخذ يجول ببصره من تلميذ الى آخر لعل أحدهم يصل الى ما قصد بسؤاله عن الطباشير واستنشاقها ، ليستمع الى اجابات طريفة على سؤاله العائم ، ومع ذلك فقد استمع الى أشياء هامة بالنسبة له ، لم تخطر على ذهنه من قبل . .

- كفى . . كفى لا أريد مزيداً من التخمينات . . سأقول لكم عما أقصده ، لئلا تنصرف أذهانكم عن الدرس الجديد . .

التفت نحو السبورة ، لمح شيئاً يرمى من مؤخرة الفصل . . تدحرج . . استقر بجوار سلة المهملات مع تلك النفايات المحيطة بالسلة الخالية مما حولها . . !

- من الذى رمى هذه الأوراق ؟!

- لم يجبه أحد .

- ليقل أنا رميتها ، بصدق وشجاعة ، فيعتذر وينتهي الأمر ، أليس من الصواب وضعها في المكان المناسب بدلاً من هذا التصرف الخاطىء ؟! . . لا أريد أن يشير اليه أحد ، لم لا يؤكد شجاعته . . ثقته بنفسه في مختلف مواقف الحياة . . . ، بغض النظر عما حدث ، لكنها مناسبة بسيطة لأبسط معاني الشجاعة الأدبية ، لم لا يعتذر المرء عن خطئه بلا مكابرة ، كما هو مطلوب منه التعبير عما في نفسه ويعتقد أنه مصيب فيه بجرأة تبدد مشاعر الخوف وعدم الثقة التي تعانون منهما في كثير من

المواقف .
ألم تشعرون بأنني في هذه الحصة قد اتجهت الى موضوع آخر بعيد عن درسنا الجديد لألقي هذه الخطبة الطويلة ؟؟
هل فكر أحدكم في هذا ؟ فعبر عن وجهة نظره ، ليذكرني بالدرس الجديد ؟ بطبيعة الحال : لا أحد .
- ليس عندهم الشجاعة على قول هذا يا أستاذ .
- وأنت ؟
- وأنا . . أنا مثلهم .
- أهو الخوف من أمر ما ؟
- لا .
- لماذا . . أذن ؟؟
- ربما الخوف على درجات أعمال السنة .
- هذا اعتقاد مجنون ، وأرجو أن يكون خاطئاً ، عندما تعبر عن نفسك بصدق ، واخلاص فلن تندم ، أليس كذلك ؟
وجه المعلم تساؤله الى تلميذ كان أصغر زملائه سناً وجسماً وأطولهم لساناً ينصت باهتمام لما يدور من حديث وحوار ، :
- نعم لن تندم ، فلقد درسنا موضوع الشجاعة الأدبية ، شرحه لنا «حامد» .
- ماذا قلت ؟ من شرحه لكم ؟
- حامد . . حامد «حق» العربي .
- هلا قلت : «الأستاذ حامد» ؟ . . أتبخلون بكلمة «أستاذ» !!
- لكنكم . . يا أستاذ لستم أساتذة .

- ماذا ؟ . . لماذا ؟؟!!

- لأنني سمعت حديثاً بين أبي وبعض زملائه ، بأن كلمة «أستاذ» لا تقال الا للذين يدرّسون الطلاب في الجامعة . يا أستاذ .

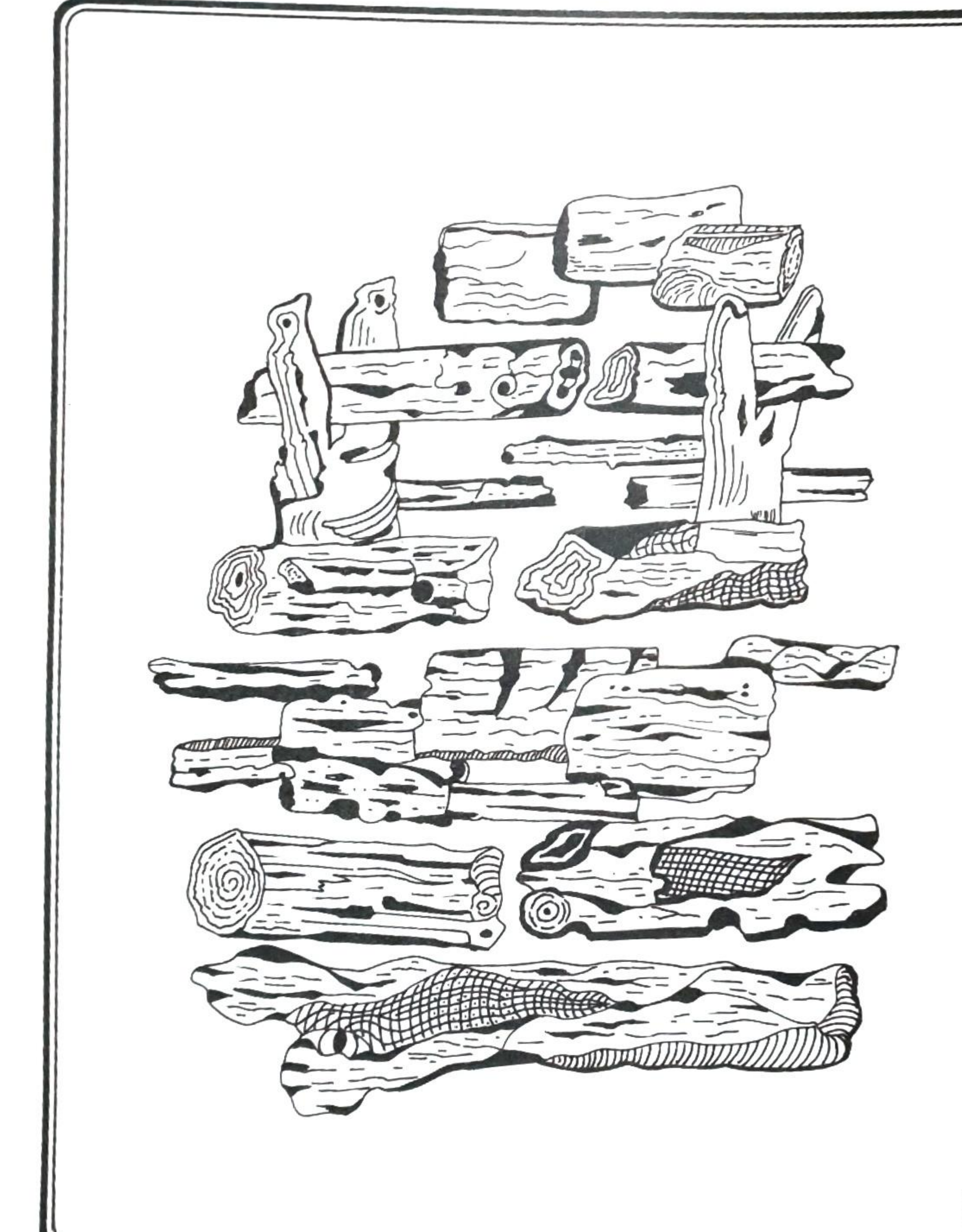
أحس المعلم بأن التلاميذ قد استعظموا جرأة هذا التلميذ . . ، أخـذوا ينصتـون مشدوهين الى صدى كلمات زميلهم البريئة على قسـمات المعلم الـذى انفجـر ضاحكـاً ، وأخـذ يربت على كتف الطالب ، وكأنه يشحذ ذهنه للبحث عن أجابة ليقول :

ولكن في رأيي كل مدرّس أستـاذ ، وليس كل أستـاذ مدرسـاً ، ومع ذلك فهي مجرد تسميات واصطلاحات يا بني .

ود أن يضيف شيئاً ، فلم يجد سوى ضحكات شاحبة ، لم يجد التلاميذ لها تفسيراً .

- رجب ١٤٠٢ هـ -





. . . . وتحطمت الحواجز

كان متفائلاً وسعيداً بالمدرسة الجديدة التي عين بها . . لم يكن انتقاله اليها مدرساً إلا رغبة في التجديد والتعرف على زملاء آخرين ، ليضيف شيئاً الى خبراته مما تحفل به حياة الناس والزملاء في العمل من ايجابيات وسلبيات تتلون بها مسيرة الحياة في كل مجال ومكان . .

كان في مقدمة الحاضرين الى المدرسة ، تشع من محياه ابتسامة أخذ يصافح بها الزملاء بحرارة ، يعرفهم بنفسه زميلاً جديداً لهم . . يتعرف على أسمائهم ليبذر في حقل عمله عربون الود والصداقة ، . . أشد ما يقلقه أن يتعامل مع أحد الزملاء في جو مشحون بالتكلف والانكماش والتحفظ ، لكنه مع اشراقة ذلك اليوم الذى بكر فيه الى العمل بشوق وسعادة التقى برجل خيل اليه في البداية بأنه ليس من الزملاء العاملين بالمدرسة رآه يبحث عن القلم ليسجل حضوره في «دفتر الدوام» . . شعر أن هذا الزميل يبدد شيئاً من تفاؤله . . ، أخذ يتساءل : لماذا دخل هكذا دون أن يسلم عليّ ؟!! . . لا بأس انه لا يعرفني . . ولكن السلام لله . . !! ، ربما كان سارحاً ذهنه ، فلم يرني . أبصرته يأخذ القلم من جيبه ، فاذا به يمسك بالسواك ويدنو من الدفتر ليسجل اسمه به دون أن يرى ما في يده .

رأيته في غرفة أخرى ، فتقدمت للسلام عليه مبتسماً . . ، لكنه رد عليّ بصوت لم أكد أسمعه ! كنت أطمع أن تنفرج شفتاه عن ابتسامة صغيرة لن تكلفه شيئاً . . ، كان مقطب الوجه ، لا يحس بشيء حوله ، أو هكذا بدأت أحكم عليه وأشعر نحوه . . أحسست بأن يده امتدت بتثاقل لتصافح يدي المبسوطة اليه منذ ثوان كنت أحسبها ساعات . .

تساءلت ، يالله صباح خير ، لم هذا الصنف من الناس هكذا ؟!! . . لا يهم فالناس يختلفون في طبائعهم ، لم أتردد في الحكم عليه بالغرور ومشتقات المكابرة ، لن أهتم به . . سوف «أجمده» . . يقال : «التكبر على المستكبر تواضع» لم تقنعني هذه العبارة ، أصبح مكتبي بجوار مكتبه في غرفة المدرسين ، كان ينسل ليجلس بصمت ، بعد أن تنفرج شفتاه مسلماً بنبرة لا يسمعها أحد ، ويزيدها انعداماً ما تعج به القاعة من أحاديث وضحكات وتعليقات طريفة بين الزملاء . .

أحياناً يدوس على أطراف أصابع قدمي دون أن يشعر ، عندما يأخذ مكانه للجلوس وهو يعبر المدخل الضيق الذي يفصل بين كل منا . . انه بالتأكيد لا يشعر فأتساءل مغتاظاً : لكن لماذا لا يشعر بأنه لا يشعر ؟!! اللهم طولك يا روح على احتمال مثل هذا الزميل ، أحسست بأنني أمام معادلة متناقضة ، . .

لم أتأخر عن مبادرته بالتحية في صبيحة كل يوم ، أصافحه ببشاشة ، فلم ألحظ عليه بادرة تحسن ، أخذت أتعمد أن أسبقه الى الجلوس لأرصد حركاته ، لعله يعاملني بالمثل . . ابتسامة . .

مصافحة ، لكنه لا يلبث أن ينخرط على مقعده بعد أن يلقي تحيته المقتضبة ، فأحلل هذه التحية التى ينفثها بأنها «تنسيم» لما يعانيه من انتفاخ وتضخم .

لا أدرى لماذا أخذت أبالغ بعناد في التلطف معه والاحتفاء به ، كنت أصر على كسر هذا الحاجز الذي طوق به نفسه وتشرنق فيه هذا الزميل الغامض ، ولعلي من جانب آخر كنت ألح في ازعاجه بهذا الاهتمام والحفاوة وكأنني انتصر لنفسي بطريقة أخرى ؟! فكلا الأمرين وارد .

قررت أن أطلب فنجاناً من الشاي :

- يا عم صالح ، اعطنا فنجانين ، فأجابني «صالح» ببساطة :

- لقد طلبت مني بالأمس فنجاناً ، فقدمته لك لأنك ضيف جديد علينا ، أما اليوم فاحضره بنفسك مثل غيرك «ما في رجلك حناء» .

- ألست مسئولاً عن تقديم الشاهي ؟

- أنا أعمل الشاهي «وبس» وأردف قائلاً :
«هلّب سلفك» .

- ماذا تقول ؟

- اسأل الخواجه مدرس «العنقليزي» .

فأجابني بريق أسنان زميلي «الغامض» . . انه يضحك على الحوار الذي بيني وبين العم صالح ، نهضت مسرعاً لأحضر لكلينا الشاى . فهذه الابتسامة تستأهل أكثر من هذا ، لكن سرعان ما اطفأتها عضلات وجهه الحزين ، تفضل الشاي . .

ـ لا أريد . . شكراً . . انني .

ـ لا بد أن تشرب هذا ، عزمت أنا أرغمه على أخذ الفنجان . .

أيقنت ألا جدوى معه عندما كرر امتناعه قائلاً :

ـ اعذرني «نفسي مسدودة» .

ـ عساك لا شربت . وكتمت غيظي . . قررت أن أهمله . . لن أحييه . . لن أحدث هذا «الجدار» الذي يجلس جاثماً بجواري ، فلم يدر في خلدي تلك اللحظات أنه في يوم من الأيام القريبة سنصبح صديقين حميمين تضيء له نفسي بشموع المحبة والاخاء . . ، ولم أنس أن أقدم له «كشفاً بالحساب» بما عانيته منه من متاعب ، بعد أن تقشعت غيوم الهموم التي كان يصارع أثقالها القاسية دون أن أدرى . .

ـ ١٤٠٠هـ ـ





الخروج من بيوت الفقر

. . . لم كل هذه الفجوة ؟! هو السبب ، كان يطمع (أبو خالد) أن أشركه معي في سمسرة الأرض التي بعتها بحجة أن صاحبها قد أخبره بها . . !! لماذا الطمع ؟ كل العملية خمسة في المائة من البائع ، ومثلها من المشتري ، الأرض . . تستأهل أكثر من (المليون) . . ليتني اشتريتها ، سنة . . سنة واحدة على الأكثر وتجيب «واحد ونصف» . . أما لو حدث هذا فانه سيزداد غيظاً . .

عام . . عام كامل لم يلتق أحدنا بالآخر ، في شارع واحد نسكن !! ، أكان أحد منا يتخيل أنه سياتي يوم يكره كل منا رؤ ية الآخر ، عندما ترغمنا الظروف أو الصدفة لنلتقي أمام اشارة مرور أو في أحدى المؤسسات من غير سلام ولا كلام .؟ حتى ذلك السوق المركزي الذى كنا نتسوق منه ، . . لقد هجرناه حسماً لتوقع اللقاء ، بعد أن كان كل منا لا يترك الآخر قبل أن يساعده في حمل المقاضي الى السيارة ، لم يكن هذا السلوك جديد بيننا ، فقد كنا منذ زمن نذهب الى «المنشية» نتسوق منها في زنبيل واحد ، يمسك كل منا طرفاً منه ، ونعود على الأقدام الى البيت لنتقاسم تلك المشتروات البسيطة . . ، فلا يهنأ أحدنا الطعام الا مع الآخر . . نتناول الافطار والعشاء معاً ، على تلك الوجبات الخفيفة من «التميس» البخارى والعنب الطائفي ، كنا نتلهف الى تناول

العصيدة والمرقة حين يشتري أحدنا لحمة جديدة . . حمداً لله ، حل مكانها اليوم هذه الخرفان والموائد المنوعة . . . ، أين هي من تلك الأيام حين كنا في بيوت الطين !! التي اتفقنا على تسميتها «بيوت الفقر» . . انها أيام جميلة . . لذيذة على الرغم من كل شيء . .

متى آخر مرة رأيته فيها ؟ . . منذ شهر ، حين شاهدته من بعد مع أحد أبنائه ، يقتفي خطواتهما رجل معروق الكفين ، ليدفع لهما عربة يدوية يترنح من ثقلها ذلك الخادم العجوز في سوق (الحلقة) . .

انه فراق طويل . . قطيعة ، لم تكن يوماً أو ثلاثة . . أنها مئات من الليالي والأيام !! لعن الله الشيطان . . سوف أتصل به . . الهاتف لا ينفع ، سأذهب اليه ، لكن أين أجده ؟ قد يكون في المؤسسة أو عند أحد مشروعاته . . لعله في مزرعته خارج المدينة . . يجب أن أذهب اليه في منزله أولاً ، لكن ماذا يكون موقفي اذا لم يحسن استقبالي ؟ فيظن أن ذهابي اليه اعتراف مني بحقه عليّ ، فيزداد تعالياً واعتزازاً بنفسه . . لا . . لن أذهب اليه فأهين نفسي . ليت بعض معارفنا أو اصدقائنا يسعون بالتسامح والاصلاح بيننا ، لكن أين هم ؟! . . الكل في دوامة . . أنني مستعد بأن أذبح «درزن خرفان» تكريماً له ، لأن ما كان بيننا من ذكريات ووفاء أكبر من أن تقتلها المادة . . انها عشرة عمر . .

يجب أن أذهب اليه مهما كانت النتيجة ، سوف أمر بمنزله أولاً . .

ـ هذا أبنه الأصغر بجوار «الفيلا» هل عرفتني يا شاطر؟ . . أين أبوك ؟
ـ ما أدرى .
ـ هل هو موجود ؟
ـ ما أدرى .
ـ قل له «عمى أبوعادل» . . يالله يا شاطر ، اسمع الكلام . هذا ابنه الكبير يخرج ويقفل الباب خلفه إنه «السمي» خالد . . ، لعله لم يرني :
ـ هل الوالد هنا يا خالد ؟
ـ لا . . لقد خرج منذ لحظات .
ـ أليست هذه سيارته ؟!!
ـ لقد ذهب بالسيارة الأخرى . . تفضل .
ـ أمتأكد بأنه ليس في المنزل !!
ـ نعم . . يلزم خدمة .

لم أجبه الا بصرير العجلات الغاضبة . . ، انه في البيت بالتأكيد ، الحق عليّ عندما عرضت نفسي لهذه الاهانة . . أيرفض استقبالي ، ويكسحني من باب منزله ؟! انني أعرف غروره وغطرسته . . مسكين أستطيع أن أدفنه في «الفلوس» لقد تسرعت بذهابي اليه ، دواؤه عندى ، سوف أريه النجوم في عز الظهيرة . . الأرض لا تسعني . . أين أذهب ؟ الى البيت . . الى البيت . .
ـ يا ولد . . قل للخادمة هات الشاهي و«التعميرة» .

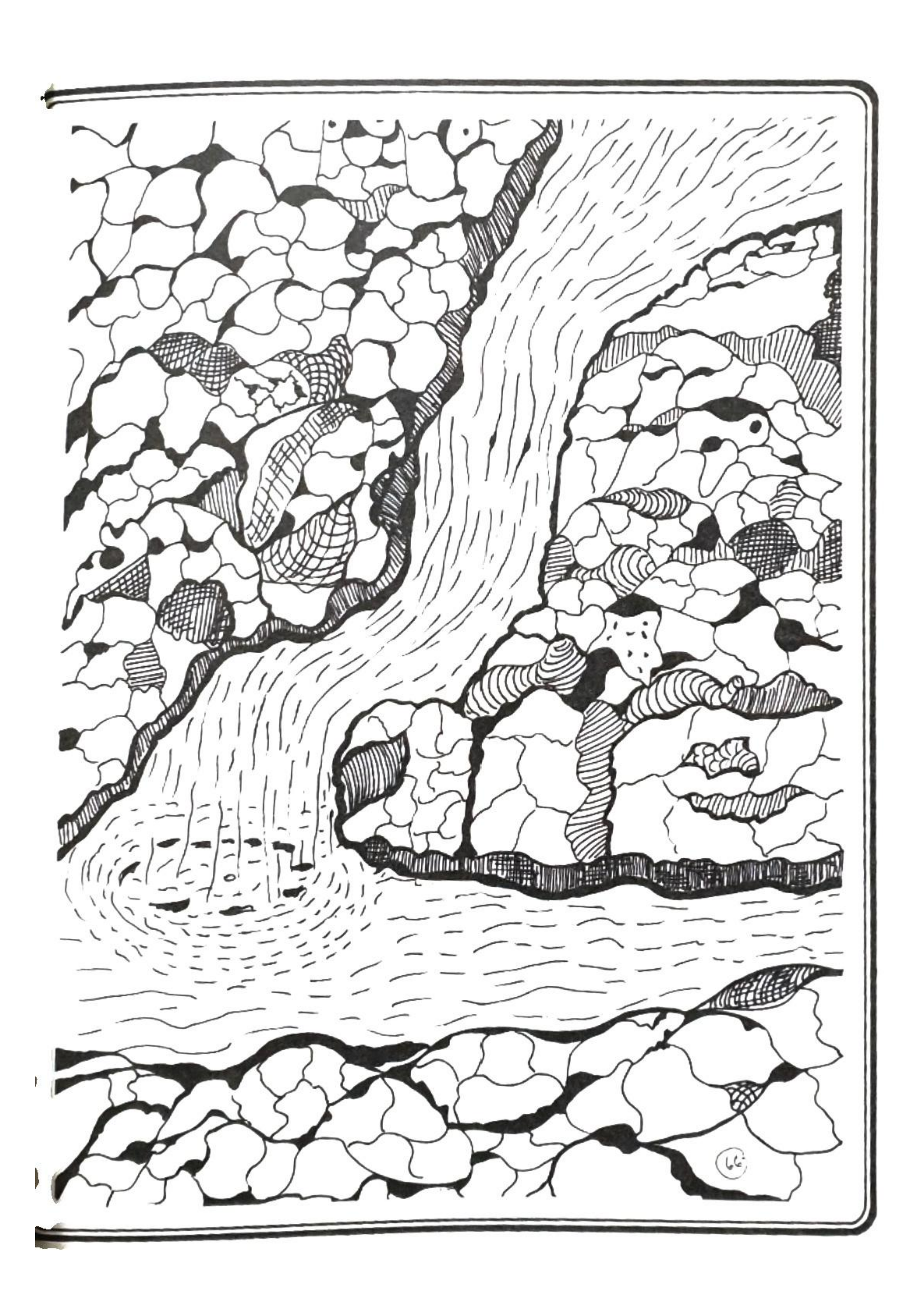
- أبي . . أبي . .
- هاه . . فارقنا . . «اشتبغي» ؟
- «عم» سعيد جاء يسأل عنك .
- من سعيد هذا ؟
- سعيد «أبو خالد» الذى كنا من زمان نتنزه معا .
- غير معقول . . لعله شخص آخر ، أين أمك ؟ ادعها لأستوضح الأمر . . ، استغفر الله ، لقد ظلمته بظنوني . . شهم والله أبو خالد ، هات الهاتف :
- «الوه» . . السلام عليكم . . أبو خالد ؟
- من . . أبو عادل ؟ يا هلا بالحبيب رفيق العمر . .
- ليتك تدرى بشدة فرحي حين علمت بزيارتك . . سامحني على ظنوني .
- بل سامحني أنت ، لن أستطيع التعبير عما في نفسي . . هذه اللحظات أثمن شيء عندى . .
- حتى ولو كانت صفقة الملايين ؟
- لا بارك الله فيها . . مالذى فرق بيننا غيرها ؟!!
- صدقت . . المهم : الهاتف لا يشفي . . سآتيك حالاً . .
- لا والله . . لن يأتي إلا أنا . .
- كما تحب . . تعالوا جميعاً ، سنعد العشاء . .
- على شرط : أريد العشاء «تميس وعنب طائفي» و . .
- يا رجل . . أن قدرك أكبر من هذا .
- وسيكون الغذاء - إن شاء الله - عندى ، سيكون «عصيدة ومرقة

تور بلدى» .

ـ أما زلت تذكر تلك الأيام ؟؟

ـ وكيف ننساها .

ـ ١٤٠١هـ ـ



بين «الماء» و «الصحراء»

أحست الفتاة بأن الغرفة التى انزوت فيها تضيق بها . . البيت كله لم يعد يسعها . . لم تستطع أن تسترد أنفاسها الخانقة على هذا الزائر الثقيل على نفسها . . رجل طوى الستين من عمره . . يكاد أن يخرج من ثوبه الضيق ذي الجيوب المنتفخة بالنقود . . عرفته الأسرة منذ سنوات ، عندما كان والدها يبتاع منه ما يجلبه من الفواكه والخضروات الى سوق المدينة . . مع التعامل تم التعارف بينه وبين أبيها . . توطدت بينهما الصداقة وتبادل الزيارة . .

شعرت «زينب» أن زيارات هذا الرجل لوالدها تتكرر . . لا يمر يوم دون أن يحضر !! صناديق الفاكهة . . الخضروات ، أقمشة . . نقود هداياه لا تنقطع ، زوجة أبيها لا تفتأ تتحدث عنه بأعجاب . . تلك المشاورات الهامسة بين أبيها وزوجته جعلت مخاوف زينب تتزايد . . اشباح الشك لا تفارق خيالها . . ان أبي لن يرفض له طلباً . . طالما أشاد بصداقته وكرمه . . انني أذكر قول أبي له منذ وقت قريب «لو طلبت أحد أولادي يا «ابو» محمد فلن أبخل عليك» ها هو اليوم يطلب الزواج مني . . !! انها الحقيقة لا مجال للظنون . . كانت غارقة في همومها وأفكارها الحائرة . . دلفت زوجة أبيها فرحة :

- خذي . . خذي . .

- ما هذا ؟!

- أساور . . خواتم وساعة . . ، ذهب . . ذهب هدية لك وحدك .

-لا . . لا أريدها ، أرجوك اتركيني ياعمة . .

- يا بنت ! لا تخجلينا ، الرجل طيب ، أتريدين أن أحتفظ لك بهذه الهدايا ؟ سأنادى أباك . .

-لن أتزوجه . . قطعوني أوصالاً . .

- يا بنتي . . أنا أبوك . . هل تعصيني ؟! كفي عن البكاء . . لقد وعدت الرجل ، ربطت له لساني . . هل أقول له البنت أبت ؟

- أتوسل اليك يا أبي . . لا أريد ؟ . . ما أريد الزواج . .

- اسمعي يا بنت . . بلا دلع بنات ، أنا أعرف بمصلحتك . . رجل عاقل . . مبسوط قولي ماذا فيه ؟؟!!

لم تجد مفراً غير الخروج . . تسللت من المنزل . . لا تعلم أين تذهب ، قادتها قدماها المرتبكتان الى مدرستها المتوسطة . . ، الى أين اتجه . . غابت الشمس . . حل ظلام الليل . . يجب أن أعود . . أخاف على أبي من البحث عني في كل مكان . . سأذهب الى بيت خالتي . .

- أرجوك يا خالتي انقذيني من هذه المحنة . . ماذا أفعل ؟

- ان قلبي ينفطر يا بنتي . . رحم الله أمك ، ما عساى أن أفعل ؟ لو قلت شيئاً لزادت المشكلة . . سأخبر خالك ، ها هو . .

لقد أتى خالك ، سألها .

ـ هل أخبرت والدك بحضورك ؟ . . ليتك أخبرته . . اطمئني ، سأتحدث معه هيا ، يجب أن تعودى الي البيت . .

* * *

ـ مساك الله بالخير يا أبا زوينب . .

ـ لوكنت أباها لما عصتني . . وهربت . .

ـ يا رجل ! تجبرونها على شخص ما تريده ؟ . . انه في مثل عمرك !!؟

ـ مثل عمرى . . !! انه رجل . . رجل (ايش) تقول فيه ؟

ـ كل خير . . لكن . .

ـ اسمع ، لقد قلت له كلمة . . انتم . . انتم السبب في عصيانها . . لا تتدخلون في أمورنا ، كل شيخ نفسه . .

ـ انها ابنتك . . يجب أن تكون اكثر رأفة بها منا . .

ـ أنا أعرف بمصلحتها منكم . . الرجل مقتدر ، عمارات . . أراضي ، سيكتب لها بيتاً . . و . .

ـ هل تريد بيعها ؟ تتخلص منها . . انكم بهذا تظلمونها . تعقدون حياتها الى الأبد . .

ـ كلامك هذا اتركه للمدارس ، ولعلمك يجب أن تترك البنت المدرسة بعد هذه السنة ، تأخذ شهادة «الكفاية» (وبس) مع السلامة . .

ـ هه ! بشّرني ، هل اقتنع بكلامك ؟

ـ لا فائدة . . حاولت معه . . لا فائدة . .

ـ يا أسفي عليك يا أبنة أختي . . !! ولكن القاضي لا يجبرها . . أليس كذلك ؟
ـ نحن لا نريد زيادة همومها وتعاستها أمام غضب والدها واحراجه . . لا تنسين انه أبوها . .
ـ وما العمل ؟
ـ سأذهب الى هذا الرجل «أبو محمد» يجب أن أذهب اليه . . لكن ما عساه أن يجيبني ، ما دام أبوها في جيبه . .

* * *

ـ صبحك الله بكل خير يا أبا محمد . .
ـ يا هلا بالغالي . . زارتنا البركة . .
ـ أتيتك في موضوع خاص ، حله عندك لأنك رجل رشيد . . توسمت الخير فيك ، لهذا تجرأت وقصدتك في منزلك العامر . .
ـ خير . . ما الموضوع ؟!!
ـ زينب . . زينب لا ترغب الزواج ، أبوها لا يكف عن ارغامها على القبول بزواجك لأنه وعدك بها . . هربت من البيت . . يكاد حزنها يقضي عليها ، لقد أنعم الله عليك من فضله . . عندك زوجة وأبناء ، لا أعتقد أنه ينقصك شيء . .
ـ الزواج حلال اثنتان وثلاث وأربع . . ومصيرها تقتنع بما كتب لها .
ـ نعم بشرط الرغبة من غير اكراه ، لا أعتقد أنك ترضى بشقاء غيرك ، عندما يكون الزواج من طرف واحد . .

ـ السبب قلت لك أن التكافؤ غير موجود .

ـ التكافؤ ؟؟

ـ أرجو أن أكون صريحاً معك بما لا يؤثر على صداقتك مع أبيها . . اذا تصورت نتائج هذا الزواج بين الخريف والربيع . .

ـ هل يمكن أن أسمع هذا الكلام منها ؟

ـ أبشر . . لا مانع أن أملي لم يخب في رجاحتك . .

ـ لا داعي لسماع جوابها . . لا داعي . . يقول المثل «من حبني حبيته ومن كبني كبيته» . .

ـ ١٣٩٨هـ ـ







شهـــر العســـل

كان غارقاً في اعداد الدروس وتصحيح ما حوله من كراسات تلاميذه الصغار ، فانتهز غياب زملائه عن المنزل الذي يسكنه معهم ، استخرج مفكرة الجيب التي اعتاد أن يتفحصها كلما خلا بنفسه ، مستعرضاً ما سجله بها من مصروفات ، وما استدانه في سبيل زواجه الذى سيتم بعد أيام قلائل . . لكن تلك التكاليف لم تنته بعد ، فلا زالت طلبات حماته تنزل على مسامعه كمنبه عربة الاسعاف المتلاحق . . ان أشد ما يزعجه كلمات الاستفزاز ، والتعبيرات اللاذعة التي تعود سماعها من حماته عندما تواصل الكلام عن زواج الآخرين ، تتحدث بمبالغة واعجاب ، عن تكاليف الزواج ، ومظاهر الأفراح التي تمت هنا . . وهناك .

ومع شوقه الشديد لرؤ ية خطيبته ، الا أنه أخذ يتحاشى الاكثار من زياراته تفادياً لتلك الطلبات التي تخترعها حماته كلما طرأ في ذهنها شيء ما !!

ففي ذلك اليوم الذي خلا فيه الى نفسه ، ما برحت كلمات والدي خطيبته ترن في أذنيه عندما قال عمه : «الزواج ليس بالسهل ، والي ما يستطيع . .» . فقطعت حماته حديث زوجها قائلة «بنتي ما هي رخيصة . .» .

لم ينتشله من دوامة التفكير الّا أصوات زملائه وضحكاتهم ،

وهم يلجون عليه الغرفة ، فقال أحدهم :

- هنيئاً لك يا عريس . . يا بختك .

وقال الثاني : أرجو ألّا تنسانا من الأكلات العائلية والأطباق الشهية بعد الزواج .

وعقب الثالث : ان سريرك الأثري هذا . . ! سيظل باقياً ليحكي أجمل الذكريات ، وضحك الجميع من ذلك السرير المربوطة احدى قوائمة .

واستأذن العريس رفاقه ليذهب الى صاحب «الشقة» التي اختارتها حماته دون غيرها : ليرجوه امهاله في الأجرة أو جزء منها .

وبعد جهد ، وافق على مضض بقبول نصف الأجرة السنوية على أن يسدد الباقي عند نهاية الشهر . . فلم يجد بداً من اتخاذ هذا السبيل عند شراء وتأمين الكثير من الحاجات . . أثاث المنزل . . الحلي . . قصر الأفراح . . المطربات . . هدايا قريبات العروس . . مطالب لم يتصورها ، وأشياء لا حصر لها الّا في ذلك البيان الذي تسلمه من أصهاره ، مؤكدين على مواصفات خاصة لتلك الطلبات . . ! حتى أثاث غرفة النوم التي كان ينوي شراءها بسعر يتناسب مع امكانياته ، أصروا على رفضها . .

وحل يوم الزفاف . . فلم تعد تقوى رجلاه على الوقوف لاستقبال ضيوفه الذين لا يعرف معظمهم تقلصت شفتاه وجف حلقه مما عاناه من نصب . ألَمْ يكد يقصم ظهره كلما تذكر ما عليه من ديون . .

كانت الساعة تقترب من الرابعة صباحاً عندما أخذت المدعوات

ينصرفن بتثاقل . فاذا بأحد الأطفال يسر اليه بأن حماته تريده في أمر ما . . ! بلل شفتيه بطرف لسانه ، وجمع قواه مستجيباً لذلك النداء فطلبت منه تقديم «التصبيحة» . . لم يستطع ادراك ما تعنيه بهذه الكلمة ، فأجابته بنبراتها الجريئة «خمسة آلاف ريال» فأطرق الى الأرض مفكراً فيما عساه أن يقول ، وهويعلم أن تساؤله . . لماذا . . ولمن ؟ لا يجدي شيئاً في تلك اللحظات الحرجة . . أيرفض ما طلبته ، أم يستمهلها الى أجل آخر . . ، وبحركة لا شعورية أخذت يده تندس في جيبه لتمتد اليها بما تبقى معه من نقود أرفده بها أصدقاؤه الحريصون على هذا العرف في مثل هذه المناسبة . . شعر بأن الأيام تجري بسرعة مقتربة من نهاية ذلك الشهر الذي قطع على نفسه فيه المواعيد للوفاء بما عليه من ديون أخذت تعكر صفوهنائه ، واغتباطه بما استجد في حياته من مشاعر الحب المتبادل والسعادة المتدفقة .

فقد حرص على ترك همومه ومعاناته خارج المنزل . لينعم مع عروسه بتلك المشاعر السعيدة التى يشع منها كل يوم كثير من السجايا الطيبة ، والأحاسيس المتبادلة ، مما يزيدها في نفسه كمالاً وجمالاً ، فلا يقض مضجعه ويثير حنقه الا تلك الطرقات المعتادة ، من صاحب العمارة ليستعجله بتسديد ما عليه ، فيجيبه بما يسعفه لسانه من كلمات الاقناع والملاطفة . فينصرف الرجل ليعود من جديد في اليوم التالي . .

وفي صبيحة اجازة الأسبوع كانا يتناولان طعام الأفطار ، فبادرته قائلة :

- ما أوسع هذه الصالة ، أنها أكبر من حاجتنا ، حتى الغرف الأخرى أكثر مما نحتاج ، أليس كذلك ؟
- نعم ، ان هذه «الشقة» واسعة .

فقالت ان جيراننا في الشقة الأخرى يشكون من ضيق مسكنهم ، فهم يعتزمون الرحيل ، ما رأيك لو استبدلنا شقتنا بشقتهم .

- أجابها مبتسماً ، وهل يعرفون مقدار أجر هذه الشقة ؟
- نعم ، وقد قالت جارتنا بأنهم سيدفعون لنا الزيادة .
- لا . . لا يمكننا ذلك لأن أكبر حجرة عندهم لن تستوعب غرفة النوم بأشيائها وأثاثها .
- ألا يمكننا الاستغناء عما لا حاجة له ؟ . قالت ذلك وهي تلتقط ساعتها الذهبية من رف عاجي اختارت والدتها تثبيته في واجهة المدخل ، ثم تساءلت : ما هذا الغلاء في الذهب ؟
- أجابها : ان له أسباباً غاية في التعقيد ؟
- ان الذهب الذي اشتريته لي يساوي ثلاثة أضعافه ، فما رأيك لو بعنا تلك الأساور ؟ لكنها قرأت في عينيه أنه لن يوافق بسهولة ، فأردفت وكأنها تتوسل : الأساور فقط ، فهل رأيتني أتحلى بها من قبل ؟
- ابتسم وهو ينظر اليها بشغف واكبار قائلاً : ثقي يا عزيزتي بأنني خلال أشهر قلائل سأسدد ما علينا من التزامات ، مع العمل الاضافي الذي حدثتك عنه ، فلا داعي لكل هذه التغييرات ، أتدرين بم أهتم ؟

انما أرجو من الله اسعادك بكل شيء نتمناه ، لا أن نبيع أشياءنا الثمينة .

ـ فقالت : ألم نتفق أمس على مفهوم السعادة وحقيقتها ؟

ـ نعم ، ولكن كما نفهمها نحن الاثنان . . سرح ببصره وكأنه يفكر في شيء ما ، ثم سألها : ألا نزور والديك ؟

ـ فأجابته : ليس قبل تنفيذ هذه الأفكار . . أرجوك أن توافقني عليها . فلا عليك من موقف أمي . . دعها لي . .

ـ محرم ١٤٠٠هـ ـ

المعشوقة

كان عمره آنذاك في نهاية العقد الأول ، مظهر جديد تطفل على حياته البريئة ، فأخذ يجاري بعض أنداده ، ويحذو حذوهم فلا يرى في الأمر غضاضة ، بل لم يتطرق الى عقله الصغير أدنى ريبة تنهاه عن التقاط أعقاب السجاير ، وشفطها كما يفعل رفاقه في تلك الطرقات والزوايا ، متوارين عن الأنظار لممارسة هذه اللعبة . .

انه ما زال يذكر تلك العبارة التي لم يدر عما تعنيه ، وهو في سنه ذاك ! عندما طلب من جارتهم العجوز شهاباً من القبس ليشعل فضلة من سيجارة أخفاها بين سبابته وابهامه ، لكن العجوز انتهرته قائلة : . . . . . . الدخان أوله غمارة ونهايته خسارة . . . ، لم تكن تعنيه العبارة هذه في شيء بقدر ما أقلقه عدم اشعال سيجارته تلك ! .

عاد والده من سفر ليس بقصير خارج القرية ، وبمثل سعادته بما نال من هدايا ولعب ، انبهر بما حمل والده من «كراتين» السجاير . فاغتبط بأنه أصبح في مستوى من الاكتفاء الذاتي ، بل يستطيع أن يمون الرفاق بكميات من أعقاب السجائر التي أصبحت منبثة في كل مكان من المنزل وساحته . .

انه ما زال يذكر أيضاً ما لاقاه من متاعب ومواقف عصيبة

تعـرض لها عنـدمـا يكتشف أبـوه أمـره ، وما نال من عقاب ووعيد وحـرمـان . . الا أنه لم يقلع عما اعتاد عليه ، كلما شاهد والده . . يستمتع . . بالتدخين . . فيحاكيه في طريقة تحريك الشفة . . نفث الـدخـان . . تقليص الجبـين ، فيقلده بشكـل عفوي خارج عن ارادته . . فلا يلبث أن يتمنى أن تكون تلك السيجارة بين اصبعيه . .

كل يوم تعاوده الرغبة في اختلاس السجائر من أبيه ، أو شرائها قبل شراء حاجاته ولوازمه المدرسية . .

ذكـريـات وصـور وخـبرات مؤلمة لا ينساها مع معشوقته اللدود التي ابتـلي بها منـذ نيف وعشـرين عامـاً ، نال خلالهـا قسطـاً من التعليم والعمــل ، وأصبح راعياً لأسرة وأبـاً لأطفـال حرص على رعايتهم وتقويم سلوكهم بما اكتسبه من خبرات تربوية ، كل ذلك أذكى في نفسه مشاعر الكره لهذه العادة التي استحكمت فيه بعد أن ملكها قيادة مع ما يتحسسه من انحسار وضعف في قواه الجسمية . هذه الآلام التي لا تفتأ تلح في الظهـور كلما أسكنهـا بالأدوية والمواد الحيـويـة لكنـه في قرارة نفسه يعلم مكمن الداء والدواء . فليست المرة الأولي التي يعتزم فيها التخفيف من التدخين أو الاقلاع عنه . لكن سرعـان ما يعـود اليهـا متذرعاً بأدنى ضيق ، أوملل ، فيخيل اليـه أن السيجـارة خير وسيلة لراحـة أعصابه المشدودة . . ، حتى مواقف السعـادة والحبـور كان يخيل اليه ـ أيضاً ـ افتقارها الى شيء ما . . فلا يكمل سعادته الا الاستمتاع بسيجارة يجود بها أحد أصدقائه . . !!

وفي مثـل هذه المشـاعـر المتناقضة يستسلم مرة أخرى لأسر هذه العادة بعشق . . وكره لها شديد !!

ذات يوم ، وهـو يتصفـح احـدى المجلات : لفت نظره اعلان من نوع من التبـغ المفضـل ، فأشعـل السيجارة وقلب الصفحة في غيظ وتبرم ، وشرع يقرأ في صفحة أخرى :

(هـل أنت من المـدمنـين على التدخين ؟ ان كنت كذلك فهذا أمـر اعتـاده كثـير من الناس ، ولن نقول لك امتنع عنه ، أو احذر التـدخين ، فهذا أمر يخصك ، وما هو مطلوب منك سوى الاجابة على الأسئلة هذه بتفكير وواقعية :

- هل تستطيع الامتناع عن استنشاق الهواء حتى الموت ؟
- أتستطيع الامتناع عن استنشاق الدخان حتى الموت ؟
- هل أنت واثق من رجاحة عقلك في الأمور البديهية ؟

اذا أجبت بالنفي أو الاثبـات ، سجـل اجـاباتك ، وبعد شهر واحـد راجـع الاجـابـة شريطة أن تتفق مع الواقع . . فحتماً - عند ذلك - ستكتشف صحة الاجابة عن السؤال الأخير . .) .

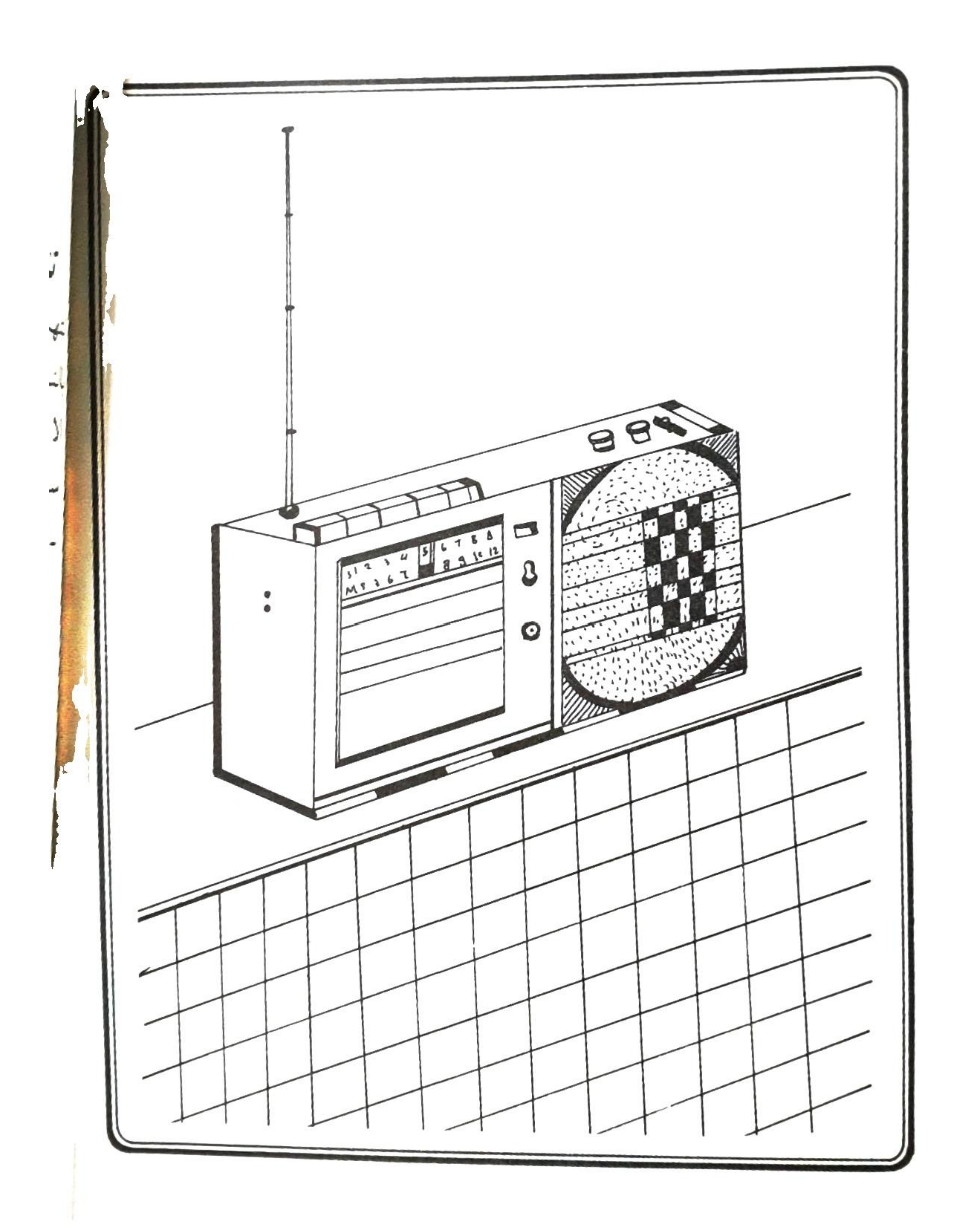
الى هذا الحد وهو منهمك في القراءة والاجابة ، فلا يشغله الآ سعـالـه المتواصل الدامي . . واصرار ابنته الصغيرة على سؤاله : لماذا تشـربـون الـدخان ؟؟ لقد فوجىء بسؤالها فحاول اشغالها بما ينسيهـا هذا التسـاؤل الـذي رقص طافياً على لسانها ، فغاص في أعماقه . طلب منها - بضجر - أن تنادي أخاها .

لعلهـا تنسى ، فقـد عودهـا أن يجيب على أسئلتهـا التي لا تنقطع . . ، ذهبت الطفلة ثم عادت الا أن . . شقيقها لما يحضر ،

فكـررت السؤال بالحاح . فقاطعها بتذمر : أين أخوك ؟؟ ألم أقل لك استدعيه . . ، ماذا يعمل ؟

فأجابته الطفلة ببراءة : جالس يلعب دخان .

ـ ١٣٩٧ هـ ـ



النجــاح المنتظــر

تنفس سمــير الصعـداء وهـو يخاطب زميله : الحمـد لله . . انتهينـا من أيـام الاختبـارات العصيبـة ، الآن نستطيع الاستمتاع بالنــزهــات والسهـرات ، والـرحـلات الجملية بعيـداً عن هموم الاستذكار والتبكير الى المدرسة . . الى أين ستذهب في الاجازة يا سمير ؟

- أجابه بزهو : «أوروبا» . الى ايطاليا . . بريطانيا . . قاطعه سالم قائـلاً : المهم النجـاح . . النتيجـة ، وبعـدها نفكر في السفر والنزهات . من يدرى عن نتائجنا ؟؟

- فعلاً النجاح . . النجاح والا تبخر كل شيء .

- وانت يا صالح اين ستقضي الاجازة ؟

- في الجنوب .

- الجنوب ؟! ماذا فيه ؟

- مسقط الرأس . . ألم تشاهد تلك المناطق ؟

- لم أزرها ، وأنت يا سالم : أين ستسافر ؟

- سأسافر الى «الدكان» . . دكان الوالد كالعادة .

ضحك الثلاثة ، وأردف سالم :

سيفيدني البيع والشراءفي دراسة الاقتصاد . . ، فأجاب سمير معاتباً :

أرجوك أرحنا الآن من الحديث عن الدراسة ، ألسنا في اجازة ؟!

بدأت اجازة الصيف الدراسية التي كان ينتظرها سمير بفارغ الصبر ، لكن همه الأكبر أنحصر في انتظار نتيجة الاختبارات . . أخذ يلازم المذياع . . يسأل الزملاء . . يتخطف عناوين الصحف منتظراً نتائج الثانوية العامة ، بخوف وأمل . . متخيلا أعلان اسمه ، فيهتز فرحاً وترتسم على شفتيه وعينيه علامات الحبور والسعادة . . عند ذلك سيتمتع بالاجازة كيف شاء . . سيرافق عمه الى خارج المملكة . . السيارة الجديدة التي وعده والده بها ستصبح بين يديه حالما يتحقق النجاح . . جوائز وهدايا ثمينة وعده بها اقاربه . . فتغير خياله المتفائل بمشاعر النجاح والفرحة المنتظرة ، لكن سرعان ما تنقلب تلك الأحلام الى كابوس من الهموم حين يجثم على قلبه وخياله شبح الرسوب ، فينضح جبينه بقطرات العرق ، وتندفع الدماء الى وجهه ، فلا تلبث أن تجف وترتد تاركة على قسماته ملامح الهم والانقباض والشحوب ، فلا يحسم هذه الأحاسيس المتناقضة الا النتيجة ، والفوز بالنجاح .

حانت ساعة اعلان النتائج . . جلس أفراد الأسرة ينصتون الى المذياع بأنفاس مكبوتة أخذت تلهث عندما شرع في قراءة الأسماء المبدؤة بحرف «السين» . . ومرت الأسماء تتدفق بسرعة . . سالم . . ، صالح . . ، لكن سميراً ليس من بينها . . انتقل المذيع الى حرف «العين» . . ، ران على الجميع مسحة من اليأس ، وخيمت على قلوبهم سحابة قاتمة من الحزن العميق . .

انسل سمير الى الخارج . . انفض الباقون في صمت . . كئيب . . بقي والد سمير وحيداً متهالكاً على مقعده ، فاستوقف والدة سمير ، وبصوت أجش بادرها قائلاً :

ـ أمبسوطة من المحروس أبنك ؟!

ـ الحظ . . النصيب . . ما لنا حيلة ؟!

ـ الحظ . . ؟ في العام الماضي قلنا ما حالفه الحظ ، هيأناله كل طلباته . . سيارة تحت يده . . تركناه على هواه . . لم نطلب منه أن ينفعنا بشيء . . ، أنت التي تحامين عنه دائماً ، وتبر رين اهماله . .

ـ حاولت أم سمير أن تمتص فورة غضب زوجها ، لكنها لم تفلح . ففضلت الانصراف تاركة أبا سمير يستمع الى بقية الأسماء بآلية وذهن شارد ، وأعصاب مشدودة تتصارع في نفسه عواطف العتاب والصبر والغضب .

وصمت المذيع ثوان معدودة . . ليعلن عن تقديم ملحق بأسماء غير مرتبة . . واستأنف قراءة الأسماء . . «سمير عبدالله . . رقم الجلوس ١٩٨٢» . . فقفز الأب ، وبحركة طفولية أخذ يصفق ويهتف . . وينادي : سمير يا أم سمير ابشرى . . سمير ناجح . . ناجح . ●

ـ ١٣٩٧هـ ـ





الغربة

كانت شجرة العرعر منتدى أهل القرية . ومعلماً من معالمها . تحكى على مر السنين بساطة حياة الآباء والأجداد . يميزها انفرادها على ربوة تشرف على المنازل . والوادي الدائم الجريان . . تحف به الأراضي الزراعية والأشجار الوارقة . . على تلك الربوة يجتمع الرجال تحت شجرة العرعر الوحيدة التي بذرتها الطيور السابحة مع نسمات الصبا من غابة القرية بأشجارها الكثيفة ، وقد اكتست بها مساحات واسعة من أديم الأرض بشعابها وجبالها . فتراها من بعد بحراً تعانقت أمواجه في هدوء وصفاء . .

في ساعات الأصيل من كل يوم يجلسون عند «العرعرة» متدثرين بعباءاتهم الصوفية . يستمتعون بطرائف الأساطير ، يتبادلون مختلف الأحاديث ، يشاركهم طرفاً منها عابرات الطريق من النساء العائدات من المورد عندما يضعن قرب الماء على نتوءات تلك الربوة لاسترداد أنفاسهن اللاهثة . .

وبعد عودة «حسن» من سفره البعيد يفد الناس الى منزله يستمعون الى «الرادى» . . يفسر لهم ماذا يقول المذياع الوحيد في القرية . . يكسوهم عمائم «الكريشي» المطرزة . . يوزع قطع الحلوى وحفنات الحمص على الأطفال الذين لازالت أصواتهم

حين وصـولـه الى مشارف القرية تهز مشاعر سعادته . وهم يهتفون بصوت ايقاعي ، حسن جاء . . حسن جاء . . جاء حسن .

فينتشـر خبر قدومـه . ويهب أهـل القـريـة لاستقباله وعناقه في صف طويل .

يتمتع حسن بمكانة خاصة وشخصية مميزة بين عشيرته . يقطع الـبر ور والبحـار . الى بلاد السـودان و«الحبشـان» . . عالم بكـل شيء . . ينجـدهم بحبـات الـدواء التى جلبهـا من «الخـارج» فتقضي على جميع الأمراض انه موضع الأعجاب ومحط الأنظار في نوع الأكل واللباس وطريقة الحديث . .

وتستقبـل أم حسن نسـاء القـريـة ، تحمل كل واحدة منهن دلة القهـوة يبـاركن عودة وحيـدهـا . . فتحتفي بهن «الكهلة رفعـة» تتصـابى بالمعصب الشفاف والحوكة البيضاء ، وثوبها الجديد الذي خلب ألباب النساء . . ويتزاحم الجالسون حول حسن عند شجرة العـرعـر ، ينصتـون باعجـاب وذهـول الى ما يقصـه من أخبـار وأسـاطـير عن تلك البلاد في مزارع القطن والغابات . . يناشدونه كلما رجـع من السفـر أن يعيـد عليهم سرد حكـايـة الطـائـر الذي اختطف البنت وأسقطها في النهر . . ، وكأنهم يسمعونهامنه لأول مرة . .

وجـوه جديـدة على حسن من فتيـان القـريـة ترتـاد المجلس ، تشترك في الحديث . . تقاطع كلامه سأله أحدهم مبتسماً :

- هل اسقط الطائر البنت متعمداً ، أم سقطت منه ، . .

- أجـاب بحـدة «أيش» أدراني عنـه «هل أنا دخلت في عقله . . في

تفكيره . . أما أولاد مدارس . .

- ولكن يا عم حسن هل عند الطائر عقل ؟

فيحتدم الجدال بين الجالسين ، ويمتنع حسن عن مواصلة الحكاية محتجاً على معارضة أفكاره . . شعر حسن كلما عاد من السفر أن الأشياء ليست كما عهدها من قبل ، القرية تتسع بمنازلها الجديدة ، العادات ، حياة الناس ، كل شيء تغير كسرعة الشعر الأبيض الذي غزا نفسه واشتعل به رأسه . . هدير الآلات تهد الجبال ، تجرف الأرض فتسحق نباتها . . تعصف بأشجارها بلا رحمة ، والناس ينظرون مغتبطين . . أشياء كثيرة اقتحمت القرية . . سلبته تلك المكانة بين أهلها . . لا يعرفه الأطفال . . لا أحد يدري عمن سافر أو عاد . . «شريفة» ؟! تذكر شريفة . . في أيام مضت كانت ترمقه بنظرات الاعجاب راحت . . تزوجت شريفة ؟

لم يشعر بقدومه احد سوى جاره الذي كان في عجلة من أمره . .

أخذ يطوي تلك العمائم ، وكلمات جاره تنحت مشاعره ، عندما قال له باشفاق . .

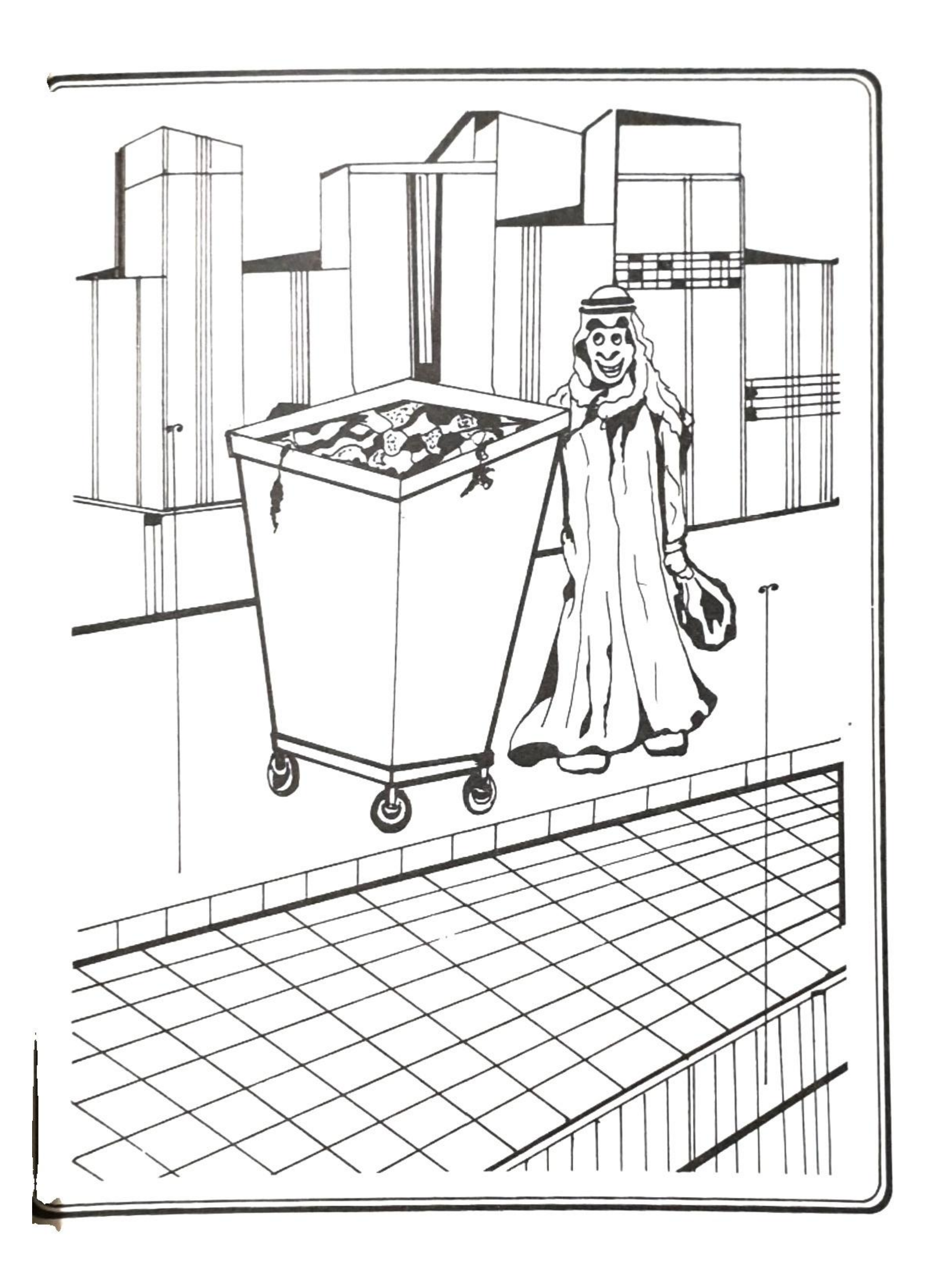
- ليتك لم تكلف نفسك . . أنت أحق من غيرك . .

- أجابه بعفوية : هذا واجب . . الواجب ما يترك يا «زول» خذ هذه عشرة عمائم .

- ماذا أفعل بها ؟! تكفي . . تكفي واحدة . . اكراماً لك . . انهم لا يلبسونها . .

لم يحتمـل تلك الكـآبـة والـوحدة الجاثمة على نفسه مع غروب شمس ذلـك اليـوم . . خرج يتلمس ذكـريات الماضي عند شجرة العـرعـر . . أخذ يناجي نفسه وهو يقترب من الربوة . . لقد تغير المكـان . . أين العـرعرة ؟! ربما أخطأت الطريق ؟ . . لا . . انها هنا ، أخذ يبحث بلهفة ويأس عن موقع شجرة العرعر ، لعله يجد أثراً منها ، جلس متهالكاً بجسمه الناحل سارحاً ببصره نحو عمود الكهرباء المغروس مكان شجرة العرعر .

-١٣٩٧هـ-





الحرامـــــي

. . **كشقة** في مهب الريح ، انسل مخترقاً حشد المتسوقين ، لا يعي بمن يصطـدم بهم من نساء ورجـال غص بهم سوق الأزيـاء الكبـير . . ، أفضت به قدمـاه الى الطـريق الرئيسي . . تهشمت النظارة ، لم تقو عيناه على مواجهة أشعة الشمس الغاربة ، يتلفت خلفـه وهو يقطع الطريق بفردة حذاء . . ، يسحب عمامته فتكنس الأرض معـه ، لم يشعـر بسيـارة مسرعة كادت تلتهمه . . ، الناس ينظرون اليه بدهشة وارتياب . .

انحشــر بجــوار سيــارة صاحبــه . . استنــد على صنـدوق كبـير . . ، جثمت يده المـرتعشـة على صدره الـلاهث . . شعـر بغثيـان ودوار . . البنـايـات الشـاهقـة . . الناس . . كل الأشياء تلاحقـة ، تطـوف حولـه ، فلا تلبث أن تتـلاشى خلف سحـابـة سوداء غشــت عيـنـيــه . . ، ليت الــذي حدث كابــوس من الاحــلام . . ! ماذا أقــول لها . . ؟ هل يجدي الاعتـذار ! ونحن نقـتـفـي الخطأ . . نقـتـنص الـعبــاءات الســوداء والسيقــان العـارية !! . . أمها ترافقها . . ورطة . . مصيبة ، يا لبلاهتي !! كيف لم أعــرف خطيبتي قبــل أن . . ، آه . . لم يمض سوى أيـام على خطوبتنا ، سيتبخر كل شيء ؟! . . كيف أبرر ما حدث ؟؟؟

جفف العـرق من وجهه الليموني بعمامته «المتجعلة» . . أحس

بكـدمة على وجنته ! . . هل عرفتني قبل أن تهوي بيدها على . .
على النظارة ؟ يا لجرأتها !

رفع جسمه المتهالك عن ذلك الصندوق بعد أن أسقط فيه فردة حذائـه . . ، استجمـع شفتيـه المتخشبتين . . بصق بمرارة . . لم تصل الأرض ، نظر لما أصاب صدره وأطراف ثوبه باشمئزاز واهمال . .

كم كنت سعيداً بهذا اليوم . . موعد زيارتي لهم ، انتظر المساء بلهفـة وشـوق . . لمشـاهـدتهـا كنت أنـوي الخروج الى الشاطىء لأتـلهـى عن سـاعـات الانتظـار . .ما اتعسني برفيقي عنـدمـا التقينـا . . هما السبب . . لقـد «غطشـا» كل شي . . لا ، بل أنا السبب ، ليتني رفضت مرافقتهـما الى السـوق !! . . انني . . انني ماذايسمـونهـا . . سأتـركهـما وأعـود ، لكن كيف ، وأنـا بهذا الحال ؟ . . لا مفر من الانتظار . .

أفاق على ندائهما ضاحكين على هيئته !!!

ـ ماذا بك . . ماذا وجدت ؟ هل وقعت يا . . غشيم ؟

الآن نذهب الى البحر كما أردت ، ولكن ماذا أصابك ؟

لا شيء . . أوصلاني الى المنزل . . رجاء كفا عن النقاش . .

ـ ١٣٩٩هـ ـ



حكـــاية «أبو العـــون»

في ليلة من ليـالي الشتـاء البـاردة . . كان المطـر منهمـراً بغزارة امتـزج معـه وميض الـبرق ، وقصف الـرعد وصفير الرياح ، مع بكاء الأطفال وأصوات قطرات متتالية من الماء تخللت سطح المنزل لتنسـاب بين أخشـاب السقف التى أسـود لونها لما تراكم عليها مع الزمن من دخان الحطب المستخدم في الطهووالتدفئة ، فيقع الرائي في خداع البصـر ، فلا يتبـين هل هذا سقف المنزل ؟ أم هو امتداد لسماء تلك الليلة الحالكة الظلام ؟

كان يقبـع تحت سقف ذلـك المنـزل المتـداعي «عـامر» وزوجته وأطفـالهـا الثـلاثـة ، . . الأم ما بـرحت تتلمـس ـ علـى ضوء فانــوس أعشى ـ قطـرات المـاء التي أخـذت تتكـاثـر في كل مكـان ، فتنحت أرضيـة البيت العـارية الا من حصير الخصف ، وشملة كانت مفـروشـة قام الأب بتغطية أطفالهما بها لشدة برد تلك الليلة ، مع أنهـا أصبحت كالغـربال ، فلم يبق منها سوى سداها من الخيوط الهامدة . .

عانت الأسرة الكثير من شظف العيش والفاقة ، فمنذ أن عرف «عـامـر» الحيـاة وهو في قفص الفقر والعوز ، وفي كل مرة يكون هو المغلوب ، فلا يجد بديلاً الا رهن جزء آخر من أرضه الزراعية على سراب جديد من الأمل ، فأصبح عاجزاً عن شراء الحليب المجفف

لغـذاء ابنـه الأصغر «عون» بعد أن قلص ثدى زوجته الصابرة التي كثيراً ما تغسل همه وتزيل غمه بما تميزت به من مودة ورحمة ووفاء . .

لكن الـذى يحزنـه ويزيده ألماً ذلك اللقب (طمران) الذى يناديه النـاس به ، ومـا يعـانيـه من هوان عندما يجتمع مع أفراد القرية في منـزل الشيـخ «العـريفـة» أوفي ساحـة المسجـد لبحث بعض القضـايـا ، كاستقبـال ضيوف من القرى المجاورة وتحديد واجبات الضيـافـة في مراسيم الـزواج من خارج القـريـة ، ومـا يترتب من عادات وتقـاليـد متبادلة . . وقد يجتمعون لحل المنازعات التي غالباً ما يحدثها رعاة الأغنام عند انتهاك المراعي المحمية والمزروعات . . فيحس عامر بشعور داخلي يدفعه الى مشاركتهم الكلام ليعبر عن رأيـه فيـما يتحـدثـون ، لكنه لا يجد وجهاً يقبل اليه ولا أذناً تصغى له ، وسرعان ما يخذله أحدهم قائلًا : «اسكت يا طمران» !! جملة قصـيرة وهي الـوحيدة التي يستطيع أن يتكلم بها ويكررها دون أن يسكتـه أحـد ، وذلك عندما يعقب على حديث شيخ القرية قائلًا «نعم . . صدق الشيخ . . صدق الشيخ» .

ومع ما هوفيه من حياة عصيبة ، فقد كان شديد الولع بالألعاب الشعبيـة التي تقـام في المناسبات والأعياد ، ليشارك أفراد القرية في «العرضة» بحماس ، فلا يشعر بنفسه الا وهوفي آخر الصفوف بعد أن يتقـدمـه من كان خلفـه من الـرجـال والصبيـان وهم يسـير ون بطـريقـة ايقـاعية دائرية على نغمات الطبول ، فلا يجد حلاً سوى التوقف والانسحاب من العرضة متشاغلاً بتدفئة الطبول على النار

كي تحتد نغماتها ، وليتفادى مشاعر زوجته وهي ترقبه مع النساء اللاتي يشاهدن تلك الألعاب من مكان غير بعيد . .

وهل ينسيان تلك الليلة عندما حاولت الأم ـ عبثاً ـ أن تسكت ابنيها الجائعين بفتات خبز من بقايا الصباح ، اذ سمعت طرقات عجلى على الباب فأسرعت لترى من الطارق في ذلك الليل الحزين . . عادت تحمل طبقاً من عشاء الجيران ، فما أن علم الأولاد بما في الطبق حتى اندفعوا من تحت تلك الشملة يتنافسون في التهام ما فيه بشهية ولهفة . . الرضيع يحبو لأول مرة ليصل الى الطعام حين رآه . .

أخذ الأب يرقبهم بأسى عميق لم يتملكه من قبل كما اعتصر قلبه ذلك المشهد في تلك الليلة فعزم على أمر قد فكر فيه ملياً لكنه لم يجد الشجاعة على تنفيذه كلما تخيل ما يدور في ذهنه من مخاوف السفر والغربة عن قريته التي لا يعرف سواها . .

التفت الى زوجته . . لمحها تغالب دمعة ترقرقت في عينيها ، ليزداد ألماً وتصميماً على الرحيل . . فعرض عليها الأستعداد للسفر وسألته : تسافر !!؟ الى أين ؟؟ فأجابها : الى بلاد الله الواسعة ، وأردف : الى «الشام» .

باع عامر ما تبقى من ميرة البيت ، واستعان بثمن حلية من الزجاج الأسود «الظفار» قدمتها زوجته لتغطى أجر السيارة ومصاريف السفر الى مكة المكرمة ، لم يؤخرهم سوى انتظار السيارة الوحيدة التى تمر بالقرية على فترات نادرة .

وفي فجر يوم لم تشرق شمسه بعد،كانت السيارة «اللورى»

تتهاوى بركابها بين المسالك الوعرة والمرتفعات والمنخفضات الجبلية متجهة الى الشام «مكة» . في بيت الله الحرام استقر عامر وأسرته ، وأشد ما غمر نفسه بالأمل والتفاؤل تلك الآيات التي قرأها الأمام في أول صلاة صلاها خلفه .

مدينة جديدة عليه خلبت لبه ، ومجتمع أختلف كثيراً عما أعتاد في قريته النائية،الحياة كلها شيء جديد لم يتصوره من قبل ، تلك السيارات المختلفة الأحجام والأشكال تجعله يجد رهبة في اجتياز طريقه . . بنايات شاهقة . . أسواق ومعروضات وأشياء يقف أمامها مشدوهاً فلا يدرى عن كنهها . .

فئآت من الناس تباينت ألوانهم ولغاتهم وأزياؤهم كاد يتوجس منهم خيفة عند التعامل معهم لولا أن رآهم يتسابقون في خشوع الى الحرم عند كل صلاة . .

كان أول عمل اقتات منه ، نقل الماء الى الأسواق والمنازل بواسطة «الزفة» ثم حمالاً في أحد المتاجر ، بعد أن أستأجر «صندقة» في أحد الأحياء ، ومع نهاية كل يوم يعود الى أسرته فيتحفهم بما يستطيع شراءه من المأكل والملبس ولوازم البيت . .

ومع الأيام تدرج عامر في مراتب العمل وأسباب الرزق ، فاتسعت موارد الكسب وأينعت الأسرة ، بعد أن كان الأطفال كبذيرات فول علاها الصدأ والضمور ثم وضعت في حوض عذب فأينعت ونمت بعد ذبول . لقد انهالت عليهم الثروة من كل مكان : محلات تجارية . . عمائر . . مساحات من الأرض ، لكن شيء واحد يهتم به عامر قبل أي أمر ، فيبادر بشراء لوحة ليعلقها في

بهو كل مسكن جديد ، كتب عليها بخط جميل تلك الآية التي سمعها عندما قدم الى مكة من الأمام وهو يتلو : ﴿ واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا . . ﴾ .

ولم ينس أن يعلق لوحة أخرى في منزله الخاص تمثل صورة قديمة له ، وهو يشد على كاهله لباداً من أكياس الخيش ليتقي بها الأحمال الثقيلة حينما عمل حمالاً منذ زمن . . كان يعتز بصورته تلك ويحرص عليها على الرغم من تحرج أبنائه منها فيحاولون اخفاءها لكنهم في كل مرة يقتنعون بما يلقيه والدهم من دروس ونصائح عن طبيعة الانسان ومفاهيم الحياة . .

أمسى الشيخ عامر من أعيان المدينة ووجهائها المشهورين بالفضل وأفعال البر . . لا يكاد منزله يخلو من القادمين الى مكة من أبناء قريته ومن حولها ، فلا يبرمون أمراً إلا بمشورته ، بعد أن امتدت يد الحضارة والخدمات الى تلك القرية ، وما ساهم به أبو عون من جهود . . تجديد المسجد . . المدرسة . . تعبيد الطريع . . الكهرباء التي أسسها عامر لأول مرة في تلك المنطقة .

وما أن يستجد شأن في القرية إلا وينادون بصوت واحد : «ننتظر حتى يصل أبو العون» !! ففي كل عام يحرص الشيخ عامر على قضاء فصل الصيف في قريته فيستقبله أهلها باقامة المآدب والألعاب الشعبية فيشاركهم أفراحهم ولكن في مقدمة «العرضة» .

- ١٣٩٨هـ -



﴿ المتناقضـــــات ﴾

فرغ الـزوجـان من اعـداد الطبقين الأخيرين ، وترتيبهما على المائدة . . بين لحظة وأخرى يختلس «حامد» النظر الى وجه والدته التي ترتسم على ملامحهـا علامـات الاستغـراب . . التعجب . . التساؤل،قسماتها القلقة لم تكن تخفى على حامد لكنه لم يجد مبرراً لها في قاموس مفاهيمه يحاول بلباقة امتصاص المواقف الحرجة كلما تحدثت أمه . .

أخذ يتشاغل بترتيب الأطباق ، منتظراً زوجته «نوال» أتت نوال تتساءل ضاحكة :

- أأنت وضعت ابريق الشاي على الموقد ؟

- نعم ، ما به ؟

- لقد نسيناه ، تبخر كل ما فيه !!

- لا بأس . . ساعده من جديد .

جلست نوال بجانبه ، تكاد تلتصق به ، التفت الى أمه :

- تفضلي . . اقتربي يا أمي ، أخذ يحرك «الصحون» ، يدنيها الى متناول يد والدته ، فتعيدها بعصبية مكبوتة الى أماكنها .

- سأتناول من هذا فقط . . لا أريد هذه الأنواع الأخرى ، لم كل هذه الأطـعـمـة ؟ . . أنـا لست ضيفـة . . ألا يكفي نوع واحد ؟ . . سترمينها بعد قليل . . !!

ـ لا يا عمتي . . سوف أضعها في الثلاجة . .

ـ أنا لا أستسيغ الطعام البائت . . لماذا لا تعدين الخبز هنا . . لا أحب خبز السوق . .

ـ ابشري يا أمي من الآن سنعد رغيفاً لك .

ـ من يعده ؟ أنت ؟!! لا بد أنك أصبحت بفضل نوال طباخاً ماهراً . .

حاول حامد تغيير مجرى الحديث . بينما شرعت نوال في رفع بقايا الطعام . . ودأن يساعدها كالعادة لكنه فضل البقاء مع والدته تفادياً لكلماتها اللاذعة وهي تتصيد ابتسامتها الشاردة ، الساخرة أمام قسماتها الحانقة . . سألته بانفعال :

ـ من الرجل في هذا البيت ؟ أنت أم هي ؟؟؟

ـ لم يستطيع كبح ضحكاته المتواصلة . . ماذا قلت يا أمي ؟

ـ أقول اصبح نساء اليوم رجالاً ، ورجالهم نساء . . انقلبت الدنيا . . آخر زمن . . ليتك لم تتزوج .

ـ ألم تلحين عليّ بالزواج ؟

ـ ليتني لم أفعل ، لم أكن أعلم أن زواجك سيكون هكذا . . الضحك . . كثرة المزاح تفقد الرجل المهابة يجب أن تخشى الأنثى ظل زوجها . . يا ولدي المرأة تركب ظهر زوجها بطريقتك هذه . .

ـ تعنين أن نوال راكبة على ظهري ؟!!

ـ نعم ، وتشد الخطام . .

ـ أخذت تتناثر كلمات حامد بين ضحكاته التي لا تنقطع . . لكنك

تعلمين أننا نعود معاً من العمل كل يوم . . من يعد لنا الطعام اذن ؟؟ ألا يجب أن نتعاون ؟

- نتعــاون ؟! . . في ماذا تتعـاونـان ؟ . . تكنس معهـا . . تطبـخ لها . . ؟! التعـاون أن يعمـل الـرجـل خارج البيت . وتعمـل «الحـرمـة» في بيتها ، وجبة الطعام لا تشق عليها . . كل شيء بالكهـربـة . سقى الله أيـامنـا . كانت الزوجة آخر من ينام . وأول من يستيقظ . . تخدم الأسرة تسهر على راحة زوجها . . حتى الحذاء تقدمها له . . تخلعها عنه ، فلا تنتظر منه ابتسامة ولا كلمــة شكــر . منــذ كنـا في القـريـة ، الأنثى تزرع . . تصـرم . . تحتطب . . نحضـر الماء على ظهورنا . . ومع هذا فمن العـار على الـرجـل أن يمـد يده في المطبخ كما يفعل اليوم بعض الناس !!

- الدنيا تغيرت ، ليست اليوم كما تتحدثين . .

- لا . . قل تغير الناس . . أنا لا أستطيع احتمال حياتكم هذه عند زيارتي لك . .

- أتريدين من نوال أن تترك التدريس ؟؟!

- مالي دخل فيكم . . ولكن هل تعطيك معاشها ؟

- نتعاون نحن الاثنان في تصريف أمورنا . . كل شيء على ما يرام ما دام التعــاون موجـوداً ، لماذا تشغلين نفسـك . . أرجـو ألا تقلقين راحتك بهذه الأشياء . . الحياة تعاون .

- هيا . . هيا . أوصلني الى بيتي .

ـ ابقي عندنا . . أرجوك . .

ـ لا . . لا زوجتك تنتظرك لتغسل معها المواعين ، لا أريد أن أشغلك يا . . يا تعاون .

ـ ١٤٠٠هـ ـ





﴿ رحلـــــة ـ عمـــل ﴾

الحمد لله . . أنهيت الدارسة . . أخذت الشهادة ، ليتني أستطيع الطيران لأجتاز الطائرة التى ستطوى آلاف الأميال . . الى أرض الوطن ، الى الأهل . . الأصدقاء . . الى العمل ، بعد أن اكتويت بنار الغربة . . الغربة التي طالما تلح بالحنين الى تلك العادات والمفاهيم التي أحببتها . . هل تصدق أنني أحن الى كل صغيرة وكبيرة ، تلك المآذن وهي تصدح في هدأة الليل . . افتقدتها منذ أربع سنوات بعد أن ساح النهار على الليل ، والليل على النهار في هذه البلاد الصاخبة . .

هزني الشوق الى كل شيء . . حتى اللباس والأكلات الشعبية ، المرقوق . . الدغابيس . . العصيدة . . كان زميلي ينصت اليّ مشدوهاً . . لم يتمالك أن أغرق في الضحك . .

ـ لماذا تضحك ؟ هل قلت شيئاً يخل بـ (الاتيكيت) ؟

ـ أبداً . . ولكن ابلغ بك الشوق الى هذه الدرجة ؟

ـ لم أعد أطيق «الهمبورقر والاسباكتي» سئمت كل شيء هنا .

ـ أمرك طريف ! ومع هذا بامكانك أن تصنع الطعام الذي تريد .

ـ عصيدة ! . . عصيدة في أمريكا ؟ ! ليتني أجيدها .

ـ لو عملتها لأصبحت نكتة وحديثاً للكثيرين .

ـ ليس في هذا ما يخجل بل أجزم أن محبيها سيتقاطرون لأجلها من مختلف المدن والولايات .

أخذ يلوح بيده مودعاً ، ويمسك بالأخرى أحشاءه عندما سمعني أناديه قائلًا : سوف أرسل اليك بالبريد شيئاً منها . .

* * *

في غمرة فرحة الوصول . . اللقاء . . الاستقبالات . . تلبية الدعوات والولائم ، اجراءات التعيين . . كل هذه الأشياء لم تترك لي وقتاً لاختيار وجبة الطعام التي أريد . . فكان العمل الذي أسند اليّ بعيد ؟! لا مكتب فخم ، ولا كرسي وثير ولا مرؤ وسين في تلك المنطقة النائية . . أين تلك الأحلام ؟ هل تبخرت بهذه السرعة !! سأذهب الى المدير العام . . بل يجب أن أقابل الوزير :

- أهلًا . . حياك الله ، لك مني التهنئات الخالصة بالمستوى الذي حققته ، والواقع يجب أن نهنىء أنفسنا كمواطنين بهذه الطاقات الرائعة .
- شكراً - معالى الوزير . . هذا بفضل الله ، ثم بما أتيح لنا من فرص .
- ألم تستلم العمل بعد ؟
- لكن يا معالي الوزير كنت أود العمل باحدى المدن . قلتها وشددت ظهري الى المقعد منتظراً انفراج صمته العميق . .
- يمكنني تلبية رغبتك هذه . . لتشغل وظيفة بأحد المكاتب هنا ، أو بمدينة أخرى . . عمل محدود لا يتناسب مع تخصصك وطموحك العلمي . .
- ألم يكن بتلك المنطقة احد من قبل ؟

- لقد صرف لها مختلف الأجهزة والأدوات . . الا أن أحداً لم يبق بها من الأخوة الأطباء ، لمعاذير غير مقنعة . . هل سمعت عن حالات الملاريا التي ظهرت أخيراً في تلك المنطقة ؟ . . كادت أن تفتك بأهلها !!

- ألم يكتشف المرض مبكراً ؟!

- لم يكن بالمستوصف سوى مساعد طبيب كان منشغلاً بمراجعة نقله . . !

- أرجوك أن تعتبر زيارتي هذه للسلام عليك وحسب . سأرحل - غداً أو بعد غد . .

- آمل أن تزودنا باحتياجاتكم هناك ، لعلي أتمكن قريباً من زيارة المنطقة . . أدعو لك بالتوفيق . .

* * *

أخذت أتناسى تلك الأمنيات المترسبة . . الشهرة . . المركز . . لا أعتقد أنها مؤشر للسعادة . . سعادتي تكمن فيما سأقدمه من رعاية وخدمات انسانية في تلك القرية النائية . . يا ترى هل أنا صادق تماماً في هذه المثاليات أم أنني أفلسف الموقف لأبدد تلك الأحاسيس المتطفلة . .

لم يستطع صديق والدي اخفاء فرحته عندما علم برحيلي اليهم للعمل فلا يفتأ يحدثني عنها . . يمر بي . . يستعجلني . .

- أنا انتظرك يا (دختور) . . متى تسافر ؟

- خلاص يا شيخ عبدالله ، اطمئن بعد يومين أو ثلاثة ، اتعبتك معي، انت أعرف مني بالطريق.كيف تلك الديرة وأهلها ؟

- أهلها كرماء . . والأرض خضراء . . والقلوب بيضاء . . وكل شيء عندنا بالكهرباء .

- هل تمسي عندنا الليلة ، لننطلق بعد الفجر ، لقد رتبت كل شيء . .

- على بركة الله . .

* * *

- هه ؟ . . كيف الديرة ، عساك مستأنس ؟

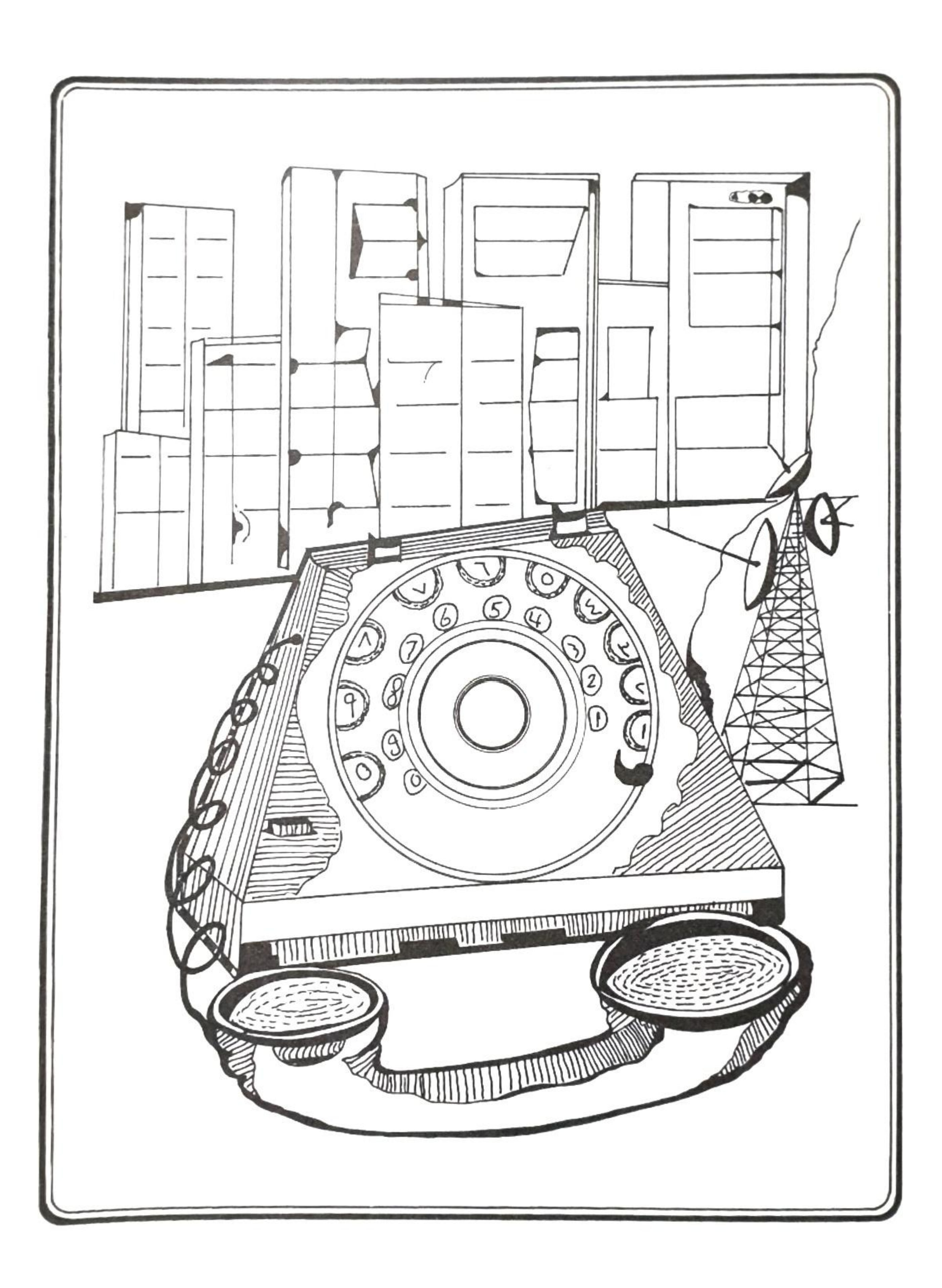
- جداً . . جداً بفضل مرافقتك . .

- يا ولدي عندنا غرفة منفصلة عن البيت . . انت ضيفنا وعزيز علينا . . لا تحاول . . لازم تبقى عندنا حتى تجهز بيتك وتحضر زوجتك . .

- موافق . . لكن بشرط ، ألا تعتبروني ضيفاً . . لقد غمرتني بكرمك . . لا أريد هذا التكليف . . طعامكم المعتاد ، حاولت جاهداً أن اسقط تلك الحفاوة المستمرة ليتني أتناول من طعامهم المعتاد . . بدلاً عن الطبق الخاص بي ، عندما يصنعون بعض الوجبات الشعبية التي كثيراً ما تغزوني رائحتها الشهية . . لقد وعدني العم عبدالله برفع الكلفة . . فهل أطلب شيئاً من هذه المأكولات ؟ هذا غير مناسب لقد تلاشت رغبتي هذه عندما سمعته يخاطب زوجته بلهجته المتميزة قائلاً :

لا . . لا الدكتور ما يشتهيها سوى له ملوخية بهذا الأرنب . . الدكتور ما يأكل المطازيز . . والعصيدة . .

-١٤٠٣هـ-





رفع السماعة بعد أن تواصل الرنين . . ، كان يتمنى ألا يشغله شيء عما هو فيه من عمل عزم على انجازه في تلك الليلة :

- مرحبا . . أهلاً . . أهلاً .
- كيف الحال . . ماذا تفعل ؟ طبعاً كعادتك ؟ أتصورك الآن جاثماً بين التقارير والأوراق . . مسكين ، حتى ميزانيتك لم تسعفك بشراء مكتب لتعمل عليه في المنزل . . يا أخي ما هذا العمل الذي لا ينتهي ؟! ألا يكفيك الدوام الرسمي ؟ . . أتأخذ أجراً أضافياً على هذا . . لا أعتقد لأنك تعمل في المنزل ، . . لكن هل تصدق أنني قد فعلت هذا مرات . . وبلا مشقة ، فقط المسألة تحتاج الى فهلوة . . فهلوة لا تفهمها ، ولا تريد أن تتفهمها . .
- لقد تركت الفهلوة لك ، ولكن هل اتصلت من أجل هذا الكلام . . هذه المحاضرة التي سمعتها منك أكثر من مرة ؟؟!
- لا . . لم أتصل من أجل هذا ، بل أردت أن أقول لك بأن السهرة الليلة عندي ، لا تتأخر . . انني احذرك لو تأخرت . .
- تحذرني ؟! . . اعذروني هذه الليلة ، عندي . . عندي . .
- ماذا عندك ؟ تعني أنك منشغل !! لن نقبل اعتذارك ، والا سنتخذ بشأنك قراراً . .

ـ عرفت قراراتكم ، تعني وجبة عشاء دسمة .
ـ لا . . فهذا لم يعد ينفع معك ، ثم ألا تعلم أنني أصبحت ممنوعاً عن كثير من المأكولات اللذيذة ،لا بد أن تأتي والا سوف نصدر قراراً باصابتك بالمرض الخطير . .
ـ . . لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا ، أهو مرض جسمي أم نفسي ؟!
ـ لم نقرر بعد ، فنحن ما زلنا مختلفين في تشخيص حالتك وانقطاعك عنا . . لقد اشتبه «الربع» بأنك مصاب بداء العظمة .
ـ العظمة . . !! وما هو الدليل ؟
ـ لأنك لا تكف عن تصديع رؤوسنا «بالحكي» عن المثالية . . الانسانية . . الطاقات البشرية «الخ . . الخ» ، ليتهم يدرون عنكم في وزارة التخطيط . .
ـ هل تعلم أنه لا يعجبني فيك إلا كلامك الطريف . .
ـ أعجبتك أو أغضبتك . . يا رجل ارحم نفسك . . هل تريد وساماً يعلق في رقبتك ـ عفواً ـ أقصد على صدرك ، لا أحد يدرى . . أأنت في أسفل المد أو في أعلاه . . !
ـ المهم أن أكون داخل المد ولست خارجه ، ولأصحح معلوماتك عن الأوسمة ، فقد نلت هذا الوسام منذ زمن .
ـ ماذا قلت . . ؟! لكنني لم أره معك !!
ـ انني أتقلده تحت جلدى .
ـ هذا ليس وساماً . . لعله حرز . .

ـ سمه ما شئت . .

ـ كيف حصلت عليه . . ، لماذا لم تخبرنا ؟ هل أخفيته عن أصدقائك ؟ !

ـ انه لا يرى بالعين المبصرة . .

ـ وهل نحن عميان . .

ـ اطمئن ، يمكن الحصول عليه ببساطة . .

ـ تقول حصلت على هذا الوسام بوساطة من ؟

ـ أقول ببساطة . . انه أشبه بالهواء المنعش . . أترى الهواء . . أم تحس آثاره ؟؟

ـ أهذا لغز ؟ . . ما اسم هذا الوسام ؟

ـ السعادة .

ـ من منحه لك ، الوزير أو المدير العام ؟

ـ الضمير .

ـ أوه . . حيرتني . ألم أقل إنك لا تكف عن تصديع رؤوسنا . .

ـ لا أدرى من صدع رأس الآخر ، لم تخبرني كيف كانت رحلة انتدابك ؟ !

ـ هي في الـواقـع والحقيقة ـ لا أدرى لماذا أحب التحدث بالكلمات التي يكثر فيهاحرف القاف ـ؟ !

ـ أعرض حالتك هذه على أحد المختصين في علم النفس . . فربما تعرف السبب المهم أكمل .

ـ هي رحلة استجـمام ، استمتعنـا في البـدايـة ، لكن أحد الأولاد أصيب فعدنا سريعاً . .

ـ سلامات ، ماذا أصابه ؟!

ـ كسرت يده .

ـ مسكين . . «أكلت الحصرم فضرس ابنك» !!

ـ ماذا قلت ؟

ـ لا شيء . . اغذرني فلم أدر عما اصابه . .

ـ أعذرك ، بشرط أن تأتي هذه الليلة ، وسأتصل بسعيد ليحضر معنا . .

ـ انه غير موجود على ما أعتقد . .

ـ لا تصـدقـه . . لعله يتهـرب منا لئلا نطالبه بالأكلة لحصوله على المكـافأة التي حصـل عليها . كادت ضحكاته تثقب أذني حين أخبر ني بها .

ـ سمعت بأنه ذهب الى خارج المدينة ليسحب سيارته . .

ـ ماذا حدث لها ؟

ـ «خبط الماتور» .

ـ لكنهـا جديـدة !! اذن فراتبـا شهـرين تبخـرا ، وسوف نعفيه من العشوة ، اننا بانتظارك ، ألن تسمح لك أم الأولا د ؟ قل بدون تحفظ . . ، فهل ستأتي ؟

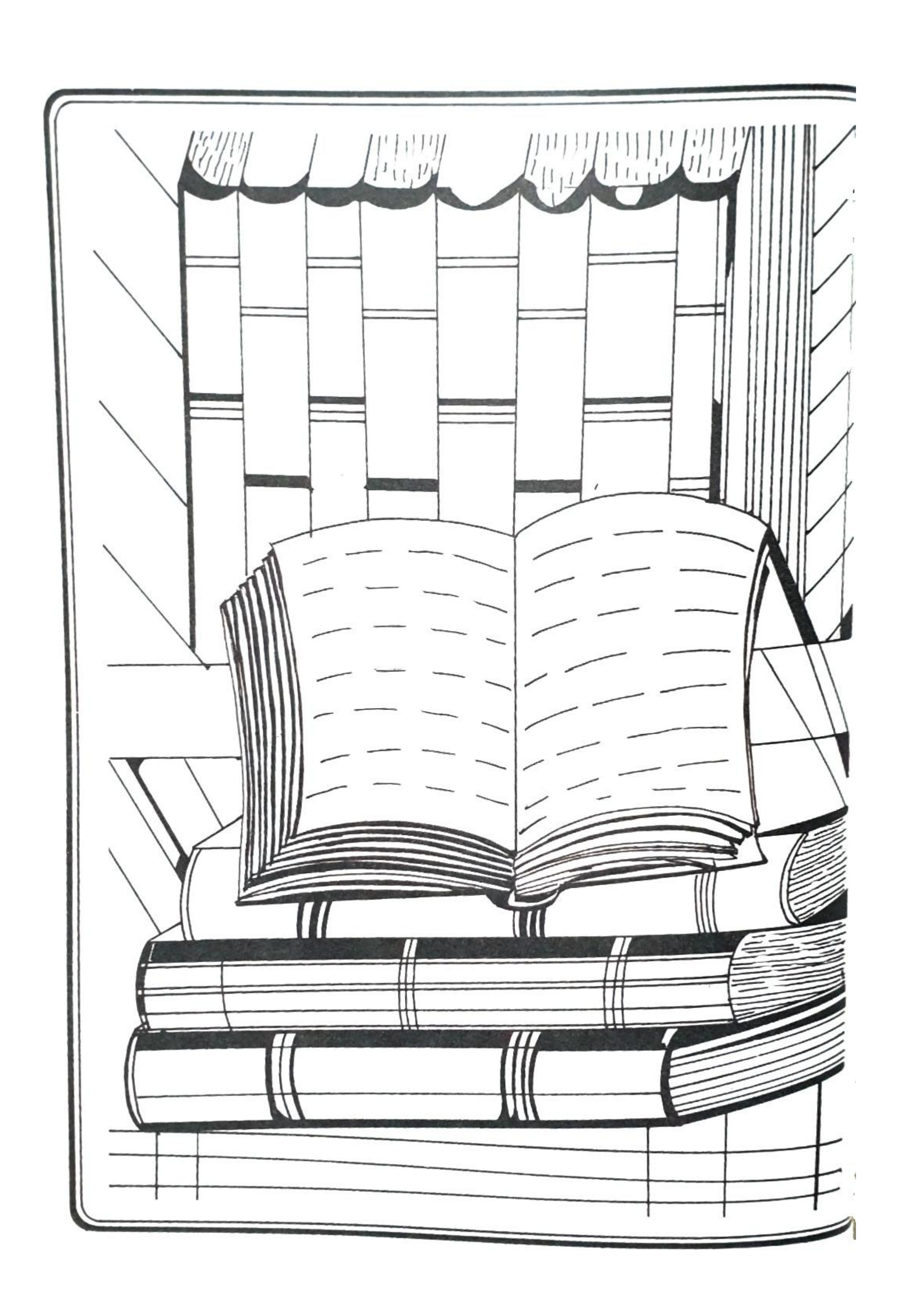
ـ أحاول .

ـ أن أتيت فأنت عظيم جداً ، والا فأنت مصاب بداء العظمة .

ـ أحاول . . قلت لك ، أحاول .

ـ رجب ١٤٠٣هـ ـ





طفـــو الأعمـــاق

انـني أشعـر بالسعـادة . . والاعتـزاز بوظيفتي الجـديـدة «المفتش» . . لم أكن أميل الى الاسم الحديث «موجه» ان كلمة مفتش أكثر وقعاً في نظري من التسميات الأخرى . . حين زيارتي للمـدارس البعيـدة يتملكني الاغتبـاط . . اقتحم الفصـول الـدراسيـة . . أبحث جاهـداً عن الأخطاء والهفوات . . أرفل في حلل مزخـرفـة من الحفـاوة والمجـامـلات ، أعقـد الاجتـماعـات النقـديـة ، لا يفـوتني في كل مدرسـة أن أقترح الغاء تعيين عريف للصف من التلاميذ . . كم كنت أتمنى أن يصدر أمر صارم بهذا الاقتراح . .

فاجأني احســاس غريب لم أدر عن كنهـه وانـا في طريقي لتلك المدرسة . . شعرت بأني تلميذ يتقدم الى اختبار مفاجىء لم يستعد له ، تمالكت رصانتي ، اقتحمت ذلك الصف . كان صوت المعلم يجلجـل ، وهـو يقف الى جوار السبـورة وقفت مشـدوهـاً . . من أرى ؟ من هذا . . انـه أسـتاذي . . معلمي منذ أكثر من عشرين عامـاً . . لم أستطـع تحديد مشاعري لهذه المفاجأة . . لم يطلب من التـلاميذ الوقوف تحية لي كما اعتدت ذلك في المدارس الأخرى . . لعل السبب مادة الدرس «القرآن الكريم» . .

أأجلس ، هل أظـل واقفـاً أين أجلس ؟ . . وبحـركـة آليـة

انحشرت جالساً بين التلاميذ الصغار ترى هل عرفني ؟ . . لا أعتقد ، كان منهمكاً في النقاش ومتابعة التلاوة . . كنت مشغولاً عنه به في تلك السنين البعيدة ، شخصيته المهيبة . . عصاه صوته الرصين تلك الألقاب التي كان يخترعها لكل تلميذ . في كل مناسبة يتحفني بلقب جديد . . كم كان يشد أذني عندما أشرع في التلاوة ليرغمني على أن أمسك المصحف باليد اليسرى واتتبع الآيات بسبابة اليد اليمنى دون غيرها . . كثيراً ما كنت أعكس الوضع فيزداد اصراراً على أن اتبع طريقته . . لم يكن همي اجادة التلاوة بقدر الاهتمام والمشقة التي أعانيها لمحاولة اعتياد طريقته في الامساك بالمصحف والمتابعة فارتبك أمام عصاه الطويلة ، وكلماته الحانقة يا أعسر يا أشول . . يا عكروت . .

أحسست وأنا أغوص في أعماق الماضي وكأنما الزمن قد توقف عند ذلك العهد . حينما كنت أتعمد نثر مداد القلم على ثيابي ليعرف من يراه أني أصبحت تلميذاً نجيباً يكتب بقلم الحبر . .

طاف بذهني ذلك «الولد» عريف الفصل . . كان لا يتورع عن تسجيل اسمي في قائمة «المشاغبين» افتراء منه ، فيكتب أمام أسمي . . عاصي . . مكرر . . مكرر . مبالغاً في الكيد لي . ربما لأنني لا أطعمه مما معي كما يفعل غيري من الرفاق . فيمارس تسلطه داخل المدرسة وخارجها ، فأنال عقاب المعلم بلا سبب . . !

لم ينتزعني من تلك الذكريات إلا صوت معلمي الذي زرت فصله للتوجيه والتفتيش . . شرع يرتل للتلاميذ آيات الدرس

الجـديـد . . ظننت أنه أخطأ في تجويد آية . . قررت أن أسأله عن تلك الآيـة بعـد انتهـاء الدرس أخذ التلاميذ ينصرفون وقفت الى جانبه . . أدركت أن ملامحه تتساءل عني أين ومتى رآني . . ذكرته بي . . سرح بذهنه قليلاً ثم قال عرفتك لقد عرفتك يا . .

قاطعته وأنا أضحك يا . . عكروت .

- لم أقصد هذا . . يسعدني أن ألتقى بمفتش من تلاميذي . .

سادت لحظة صمت أمام ابتسامته العريضة . . سألته عن الآية ؟

- أجابني واثقاً من صحة تلاوته لم أقتنع . فالتقطت احد المصاحف لأريه الآية . .

فتـحـت المصحف . . اضطـربت يداي . . بأيهـما أمسـك المصحف ؟ . . بم أشير الى الآية . . كاد المصحف أن يفلت من يدي .

. . قلت له مبتسماً وأنا أريد تمويه ذلك الارتباك . .

- ألا زلت تصر على تلك الطريقة فى الامساك بالمصحف ؟

- أجابني وهو يضحك : أمسكه كما تشاء . . ولكن هل اقتنعت أن الكلمة تنطق هكذا . . ؟

- نعم لقد كنت على خطأ . . فلـم أشك من قبل في صحة قراءتي لها . . معـذرة يا أستـاذي القـدير . . انما أردت الاستفادة . . ان تخصصي ليس في المواد الدينية . .

- فعلاً يا بني . . أصبحنا اليوم في عصر التخصص . لكن أرى أن

نكون جميعا مختصين في القرآن الى جانب التخصصات الأخرى . .

ودعته مصافحاً . . أخذت ألوم نفسي لماذا نسيت أن أعانقه ، لقد عدت من تلك المدرسة وأنا أشعر بفراغ كبير بقدر ما كنت أحس به من امتلاء . .

جمادى الأولى ١٤٠٠هـ



مطبوعات نادي الطائف الأدبي

	العنوان	المؤلف
١	سوق عكاظ في التاريخ والأدب	إعداد لجنة الآثار التاريخية بنادي الطائف الأدبي
٢	البحث عن ابتسامة	محمد المنصور الشقحاء
٣	لكل مثل قصة	مناحي ضاوي القثامي
٤	شبه الجزيرة العربية تهدى الحكمة للعالم (محاضرة)	حمد الزيد
٥	مسيكينة	سعد الثوعي الغامدي
٦	رحلة العمر	علي حسين الفيفي
٧	هل للشعر مكان في القرن العشرين (محاضرة)	د. غازى القصيبي
٨	خطرات في الأدب والفلسفة	حمد الزيد
٩	فلسفة السلام	هشام ناظر
١٠	معاناه	محمد المنصور الشقحاء
١١	المضيفات والممرضات في الشعر العربي المعاصر (محاضرة)	عبد الرحمن المعمر
١٢	ملف نادي الطائف الأدبي الأول	اعداد النادي
١٣	أجنحة بلا ريش	حسين سرحان
١٤	نظرات في الأدب والتاريخ والأنساب	علي حسن العبادى
١٥	رجل على الرصيف	عبد الله سعيد جمعان
١٦	صور من الحياة والمجتمع	علي خضران القرني
١٧	ذكريات	أحمد علي
١٨	خواطر في التنمية (محاضرة)	د. غازي القصيبي
١٩	حديث في الاعلام (محاضرة)	د. محمد عبده يماني
٢٠	البيت أولاً (محاضرة)	هشام ناظر

٢١	جوانب صحية في التشريع الإسلامي (محاضرة)	حمد الدعيج
٢٢	المحراب المهجور	ابراهيم الزيد
٢٣	كتاب القصة الأول	محمد المنصور الشقحاء (كتاب دورى)
٢٤	مقالات في الأدب (١)	اعداد النادي (كتاب دورى)
٢٥	عذراء المنفى	ابراهيم الناصر
٢٦	نشر النور والزهر جـ ١ ، ٢	محمد سعيد العامودي واحمد علي
٢٧	ملف نادي الطائف الأدبي (الثاني)	اعداد النادي
٢٨	معجم معالم الحجاز جـ (١)	عاتق بن غيث البلادي
٢٩	مذكرات في الخط العربي	جلال أمين صالح
٣٠	في الأدب والحرب	حسين سرحان
٣١	أهازيج	محمد ابراهيم جدع
٣٢	نافذة هلى الحائط المهدوم	هند صالح باغفار
٣٣	الطائف (محاضرة)	عبد القدوس الأنصاري
٣٤	حكاية حب ساذجة	محمد المنصور الشقحاء
٣٥	الرواد الثلاثة	عبد الله الخياط
٣٦	كتاب القصة (الثاني)	محمد المنصور الشقحاء
٣٧	من حديث الكتب	محمد سعيد العامودي
٣٨	مقالات في الأدب (٢)	اعداد النادي
٣٩	دريد بن الصمة	مناحي ضاوي القثامي
٤٠	الوان من الأدب جـ (١)	شعبان جبريل عبد العال
٤١	هتاف الحياة	عبد الله جبر
٤٢	كنز الأنساب ومجمع الآداب	حمد الحقيل
٤٣	القصاص	عبد الله سعيد جمعان
٤٤	معجزة القرآن الكريم البيانية (محاضرة)	د. حسن محمد باجوده

٤٥	الصمت والجدران	سباعي احمد عثمان
٤٦	حين ينزف الأفق	اصلاح سهيل
٤٧	كتاب الشعر (الأول)	علي حسن العبادى ، محمد المنصور الشقحاء
٤٨	الطائر الغريب	حسين سرحان
٤٩	ملف نادي الطائف الأدبي (الثالث)	اعداد النادي
٥٠	كتاب القصة (الثالث)	محمد المنصور الشقحاء
٥١	علم العروض	د. عبد الهادي الفضلي
٥٢	أحيحه بن الجلاح الأوسي	د. حسن باجوده
٥٣	المسحوق	محمد حمد الصويغ
٥٤	سوق الخميس	خليل ابراهيم الفزيع
٥٥	الموسوعة الأدبية جـ (٣)	عبد السلام طاهر الساسي
٥٦	ترانيم الصباح	عبد السلام هاشم حافظ
٥٧	في موكب الأبطال	علي حسين عويضه
٥٨	أغنية الشمس	ابراهيم الزيد
٥٩	دعونا نمشي	أحمد السباعي
٦٠	كلمات حب الى المدينة المنورة	عبد السلام هاشم حافظ
٦١	أبو الشمقمق	د. محمد سعد الشويعر
٦٢	تأملات في الفكر والمجتمع	عبد الله بوقرى
٦٣	الأحاجي والألغاز الأدبية ط ٢	عبد الحى كمال
٦٤	حنين	علي صالح الغامدي
٦٥	تذكرة عبور	عبد الله سعيد جمعان
٦٦	أزهار	علي حسين الفيفي
٦٧	جراح الليل	د. ابراهيم الزيد
٦٨	أوراق مطوية	أحمد السباعي
٦٩	شعراء الحجاز ط ٢	عبد السلام طاهر الساسي

٧٠	ابن الطراوة النحوي	د. عياد عيد الثبيتي
٧١	لكل مثل قصة (٢)	مناحي ضاوي القثامي
٧٢	لا ليلك ليلي ولا أنت أنا	عبد العزيز الصقعبي
٧٣	تحفة اللطائف في فضل ابن عباس ووج الطائف لابن فهد	ت : محمد الشقحاء ومحمد سعيد كمال
٧٤	المنتخب في ذكر أنساب قبائل العرب	تحقيق د. ابراهيم الزيد
٧٥	الحب الكبير	حسن ناصر المجرشي
٧٦	رسائل الى نازك	سعد البواردي
٧٧	بهجة المهج للميورقي	تحقيق د. ابراهيم الزيد
٧٨	ملف نادي الطائف الأدبي (٤) (٥)	اعداد النادي
٧٩	الزهور الصفراء	محمد المنصور الشقحاء
٨٠	الفنون الصغرى	ابو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري
٨١	المبالغة في البلاغة العربية	عالى سرحان القرشى
٨٢	رحلة إلى الغرب	الشيخ احمد علي
٨٣	شعراء ثقيف في العصر الأموى	عيضه عبد الغفور السواط
٨٤	ملف النادي السادس	لجنة الملف بالنادي
٨٥	زائــر الأمــس	علي حسين الفيفي
٨٦	نشر اللطائف في قطر الطائف	تحقيق : عثمان محمود حسين الصيني
٨٧	ملف النادي السابع	لجنة الملف بالنادي
٨٨	بين الحداثة والاصالة	أحمد فرح عقيلان
٨٩	ملف النادي الثامن	لجنة الملف بالنادي
٩٠	ابن سينا	على عبدالله الدفاع
٩١	دليل المعلم	لجنة من ادارة التعليم
٩٢	النورس	ترجمة/حسين محمد ياغي


المطبعة الأهلية للأوفست
الطائف

المطبعة الأهلية للأوفست بالطائف